وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس المدية
قسم اللغة العربية وآدابها

الأبعاد الإنسانية في أدب الرحلة

رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر

تخصص:أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد:
هاجر موساوي

إشراف الأستاذ:
محمد سرير

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
محمد الزاوي	جامعة المدية	أستاذا رئيسا
محمد سرير	جامعة المدية	أستاذا مشرفا
زليخة حنطابلي	جامعة المدية	أستاذا مناقشا

السنة الجامعية 2021/ 2022


بسم الله الرحمن الرحيم
محمد سلقامي

كلمة شكر

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** "

فإنني من هذا المقام أتقدم بخالص شكري وعرفاني لأستاذي الفاضل

الدكتور: "محمد سرير"

الذي تفضل بالإشراف علي و أعطاني من وقته الكثير

و كذلك الشكر الموصول إلى الأساتذة المناقشين

و ّ إلى كل أساتذة الأدب العربي بجامعة يحيى فارس .

جزاكم الله عنا خير الجزاء



خيوط المعرفة



إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل :

إلى من قال فيهما المولى عز وجل:

" وبالوالدين إحسانا"

إلى أبي الذي بذل كل وسعه ليراني ناجحة، أطال الله في عمره و

إلى أمي التي صبرت وتحملت لأجل نجاحي، أطال الله في عمرها

وإلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة أو دعاء خالص

مقدمة:

الرحلة من أهم الفنون العربية المتجذرة في الأدب العربي، وقد نالت مكانة مرموقة وسط الأجناس الأدبية الأخرى ، وقد كانت بداية الفن الرحلي مقتصرة على رجال التاريخ والجغرافيا وما عرف بأدب المسالك والممالك ، أما في العصر الحديث فقد شهدت الرحلة انفتاحا معرفيا وفنيا أكبر ، وقد أصبحت تمثل مادة خاما للدارسين الذين وجدوا فيها ملجأ غنيا للدراسة والتحليل ، وذلك كونها تأتي على شاكلة مذكرات أو سير ذاتية أو نصوص سردية ، وكلها موجهة لذلك المتلقي فتشبع فضوله من كل النواحي ، ويعتمد الرحالة على الوصف كأهم عنصر، فهو في انتقاله يصف مشاهداته، كما يلجأ لمرجعياته السابقة، فيحدث بذلك التواصل والانفتاح على ثقافات الشعوب المغايرة.

كما عد أدب الرحلة من أهم المصادر التي تقف على مظاهر الحضارة الإنسانية فأدب الرحلة هدف يطمح إليه العقل وتتوق إلى مزامنته الروح.

وقد انطلقت عبر التاريخ الكثير من الرحلات التي جابت الآفاق، وكانت الأندلس إحدى تلك الآفاق التي توجه إليها الرحالة العرب والأجانب، هذه الرحلات كان لها الفضل في توسيع أفق الثقافة، والتعريف بالملامح الإنسانية و الاجتماعية و التاريخية ...العامة لأرض اسبانيا .

كما سمحت لنا هذه الرحلات بملاحظة تغيرات أوضاع الآخر، وقدمت لنا صورته والتصورات التي تدور حوله، من خلال انشغال التخييل في إعادة بناء النص السردي العربي ، خصوصا تلك النصوص التي توحي بطابعها الواقعي التوثيقي وتكون في بنائها أقرب إلى النص التاريخي منه إلى النص الأدبي التحليلي .

تعد رحلة "نور الأندلس" لأمين الريحاني " من أهم الرحلات في الأدب العربي الحديث، وآخر فصول رحلاته، حيث جمعت بين تاريخ الأندلس واسبانيا الحديثة ، مما جعلني أسلط

الضوء عليها ، وأخصص لها هذه الدراسة التي تحمل عنوان: "الأبعاد الإنسانية في أدب الرحلة رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني أنموذجا"

وبعد اطلاعي على كتاب "نور الأندلس " وأهم ماكتب في الدراسات المتعلقة بالرحلات وبتاريخ الأندلس، لجأت إلى تحديد عدة أبعاد في الرحلة، وتجزئتها إلى بعد اجتماعي وسياسي وثقافي وديني ، وقد ساعدت نصوص الرحلة في خدمة الموضوع.

وكان سبب اختياري للموضوع هو رغبة مني في الاطلاع على الحضارة الأندلسية، والسبب الثاني أن الدراسات في مجال أدب الرحلة قليلة التناول .

أما الهدف فكان تسجيل ما شاهده الريحاني في رحلته ، والتعرف على حضارة الأندلس واسبانيا الحديثة معا.

والرحالة عربي مسيحي ونص الرحلة يضم نسبة كبيرة من التاريخ الاسلامي ، مما دفعني الى طرح الإشكالية التالية:

ما مدى توفيق الريحاني في طرح الأبعاد الانسانية بموضوعية وبنظرة شاملة في نص الرحلة؟وكيف تجلى الخطاب الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي في النص الرحلي؟وما مدى اهتمامه بتسجيل مشاهداته خاصة ما يتعلق بالعمران والعادات والتقاليد؟ وهل تمكن من ايصال دعوته النهضوية للشعوب العربية المستعمرة وقتها؟

ولأهمية هذه الموضوع جاءت الدراسة لتتناول التعريف بأدب الرحلة الذي يغفله الكثيرون ، وبأهم ما يحتويه الخطاب الرحلي. وتناولت أيضا صورة لآخر ، وكشفت عن أهم المرتكزات التي قامت عليها نظرة الرحالة الريحاني (العربي) في تصويره لآخر(اسباني) ومدى تفاعله معه في بعض مشاهد حياته والأمر الأهم انتقاله الدائم بين الماضي والحاضر تخييلا وواقعا.

ويقوم المنهج المتبع في هذه الدراسة على دراسة نصوص الرحلة وتحليلها مستفيدة من مناهج نقدية متعددة، فقد أفدت من المنهج الاجتماعي في تحليل الكثير من الأحكام والسلوكيات والانعكاسات في التعامل مع الأخر، كما أفدت من المنهج التاريخي في دراسة الأحداث التي وقعت في الأندلس و تحليلها وتمحيصها والاستشهاد بالمؤرخين، أما المنهج الوصفي فقد أفدت منه في دراسة الظواهر الفنية في الرحلة.

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة ومدخل و فصلين وخاتمة على النحو الأتي:

المدخل: وخصصته للتعريف بأهم مفاهيم أدب الرحلة وأنواعها وخصائصها ودوافعها وأهميتها، ومكانتها عند العرب ،إضافة إلى التعريف برحلة نور الأندلس وصاحبها.

الفصل الأول: وقسمته إلى أربع مباحث ،تناولت فيه البعد الاجتماعي للأخر وما يحمله من بنية بشرية واقتصادية وعمرانية ومعايشة الرحالة لمكونات هذا البعد، ويضم هذا البعد مبحثين ، مبحث يتناول مكونات المجتمع الأندلسي والآخر العناصر الحضارية في الرحلة كما تناولت فيه البعد السياسي من خلال العودة إلى التاريخ ، والتعرف على مراحل الوجود العربي الإسلامي في الأندلس مع تحليل أسباب القوة وأسباب الضعف والسقوط.

الفصل الثاني:وقسمته إلى خمس مباحث، فقد قمت بدراسة المشهد الثقافي ومكوناته المختلفة من آداب وفنون و مهرجانات ورحلات ، والبعد الديني والمتمثل في صورة القادة ،و التنظيمات و المعاملات الدينية لديانتين المسيحية والإسلامية.

وتضمنت الخاتمة النتائج التي توصلت إليها.

وقد أفادت الدراسة عددا من كتب الرحلات إلى الأندلس ، كرحلة ابن بطوطة ، ورحلة الجزائري سفيان مقنين ورحلة الرحالة المصري محمد ناصر العبودي، كما أفدت من عدد من

المصادر مثل كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري، وكتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان، وكتاب الرحلة في الأدب العربي لشعيب حليفي ، إضافة إلى عدد من الدراسات التي تناولت الرحلة عند العرب بصفة عامة ، وكتب التي تناولت تاريخ الأندلس كموسوعة راغب السرجاني.

وقد واجهت في الدراسة بعض الصعوبات ، تمثلت في صعوبة تحديد منهجية معينة في البحث وصعوبة تدقيق المضامين كون موضوع الدراسة يعد شاملا، ومما لا شك فيه أن دراسة الأبعاد الإنسانية تنفرد بخصائص ومميزات تجعل مجال البحث فيها معقدا ومسالكها الفكرية وعرة ، وذلك لاتصالها بجوانب مركبة تتعلق بالإنسان ، كما شكلت قلة الدراسات التي تناولت الموضوع صعوبة في مسار الدراسة.

وأخيرا أرجوا من الله أن يوفقني فيما قدمته من جهد وبحث لإعداد هذه الدراسة التي لا ادعي فيها الكمال وبراءتها من العلل والنقص فهي عمل إنساني قابل للنقص والزيادة.

مدخل:حول أدب الرحلة

مفاهيم إجرائية

1:مفهوم أدب الرحلة

2:عناصر الخطاب الرحلي

3:دواعي الرحلة وأهميتها

4:الرحلة عند العرب وعند أمين الريحاني

خلق الإنسان ومعه حب الاستطلاع والترحال واكتشاف ما يحيط به من أسرار قصد التعرف والتحكم في الوسط الذي يعيش فيه، ومن ثم تعلوه روح الفضول إلى الانتقال من المكان المألوف إلى غيره، والبحث عن التجديد والتجريب لإكمال نقائصه، وأهم شيء التعرف على بني جنسه من مختلف بقاع الأرض. ورصد ثقافتهم وأسلوب حياتهم والتعرف على أفكارهم وأخلاقهم...وغيرها.

وتعد الرحلات أهم مصادر التاريخ والآثار والآداب والعديد من العلوم الإنسانية، كونها تقدم انطباعات شخصية واقعية لجوانب حضارية واجتماعية لمناطق الرحلات.

"أما من الناحية الفنية فإن أدب الرحلة يمثل لونا أدبيا يجمع بين خصائص القصة والرواية والسيرة ويفيد من أدوات فنية مهمة كالصورة والقصة فما يجعله ميدانا فنيا، ويتيح له ذلك إيصال رسالته الفكرية والفنية على اختلافها وتنوعها"[1] معتمدا بالدرجة الأولى على الأديب نفسه.

"فرحلة الأديب ذو الرؤية الواعية والعمق المعرف هو المؤهل لنقل الآخر من خلال رؤيته هو"[2] كذلك نستطيع القول بأن أدب الرحلة هو الجنس الوحيد الذي استطاع أن ينقل لنا صورة الآخر أكثر من غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، لما يحمله من خصائص ومضامين وأهداف وبواعث وأدوات، مكنت صاحبه "الرحالة" من القدرة والمهارة الأدبية في الرصد والملاحظة.

[1]_عبد الله بن أحمد بن حام آل حمادي، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، بحث ماجستير، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية 1997، ص 09.

[2]_نفس المرجع،ص09.

مفهوم أدب الرحلة:

إن مصطلح "أدب الرحلة" لم يظهر بهذا المسمى إلا في العصر الحديث بالرغم من قدم تأصله في أدبنا العربي القديم.

- **أدب:**

– فإن فككنا المصطلح إلى قسميه: (أدب، رحلة) عرفنا الأدب بمفهومه اللغوي: كما جاء في "لسان العرب" لإبن منظور أنه « الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء.

والأدب: الظرف وحسن التناول، والأدب بالضم، فهو أديب، من قوم أدباء.

وأدبه فتأدب: علمه، واستعمل اللفظ فقال: وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم ».[1]

أما اصطلاحا فقد ارتبطت تعاريفه بعدة مفاهيم عبر العصور، إلى أن انتهت كلمة "الأدب" في الوقت الحالي لدلالة على: « الكلام المتقن بلاغيا والذي يعنى بما يعبر الإنسان من خلاله عن مشاعره وتجاربه بلغة ممزوجة بالخيال والحقيقة لتحدث أثرا على القارئ والسامع».[2]

- **رحلة:**

وبانتقالنا للقسم الثاني من المصطلح "الرحلة" فقد ورد اللفظ في عدة معاجم وقواميس، يجمع الكل فيها على نفس المدلول.

[1]_ابن منظور معجم لسان العرب، ج1، دار صادر ودار بيروت للطبع والنشر، ص 206.

[2]_ما الأدب؟ تم الإطلاع عليه في(2022/4/4 https://iugaza-edu.ps-

– جاء في "مقاييس اللغة" « مادة (ر– ح– ل): الراح والحاء واللام أصل واحد يدل على المضي في السفر ».[1]

وفي لسان العرب، فنقول: «ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان: انتقل...،

والترحل والترحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة [2]». يتبين لنا من خلال التعريف اللغوي أن مفهوم الرحلة جاء في اللغة العربية بمعنى السفر والانتقال.

اصطلاحا:

لاشك أن تعريف الرحلة بمفهوم دقيق ومحدد سيكون صعبا، فهي تختلف عن الأجناس الأدبية الأخرى، نظرا لتعدد مضامينها وأساليبها، ولتداخلها مع الخطابات الأخرى، كـ(التاريخ، الجغرافيا، السيرة الذاتية، التراجم، الرسائل، الشعر، الحكايات...الخ)،هذا يؤدي إلى صعوبة القبض على تعريف محدد لنضم مواردها.

– ولذلك سأحاول طرح البعض منها، يقول شعيب حليني ف كتابه "الرحلة في الأدب العربي": « وقد تراوحت نعوت التسمية وتعددت فتحدث البعض عن "أدب الرحلة" وهو قصد واضح بانتسابها إلى حقل السرد، باعتبارها كتابة أدبية تتوفر على مكونات سردية وآليات كتابية، تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعية في خانة الأدبي فيما هناك نعت آخر يكتفي بالحديث عن هذا الشكل باسم "الرحلة" فقط... واعتبار الرحلة مصدرا غميسا في حقل الانثروبولوجيا، ومادة جغرافية...[3]» وهنا إشارة إلى العصر الذي يطغى في الرحلة على حسب رؤية الرحالة وهدفه.

---

[1]_ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، ط1، دار الجبل، بيروت، سنة 1411هـ – 1991م، ص 498.

[2]_ابن منظور، لسان العرب، مج 11، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص 273.

[3]_شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي.التجنس.آليات الكتابة.خطاب المتخيل ط1.الهيئة العامة لقصور الكتاب.مصر 2002.ص67

– وبما أن هذا اللون، يعتبر من أقدم الفنون الأدبية التي ازدهرت وتطورت عبر الأزمان والحضارات، فإن أدب الرحلات هو « مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق لمناظر الطبيعة التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد ».[1]

– وتقوم الرحلة في اغلب الأحيان على تجشم المشاق التي يتحملها الرحالة، من خلال قطعه للجبال والأودية والصحاري، ومواجهة الأخطار والأحداث والمفاجآت والغرائب...وغيرها، ولكن العبرة من هذا هي قدرة الرحالة (الأديب) على اختيار المشهد ورصده بلغة أدبية ممتعة، « ذلك أن الأدب يصور فيه الأديب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد[2]». فالأديب ينقل كل ذلك من خلال خلجات نفسه.

– وكذلك وجب توفر صفات معينة في الرحالة « ومن شروط أدب الرحلات، دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة، وسهولة الرواية، وحسن التصرف[3]» ولعل هذا ما يميز الرحلة العربية عن غيرها من الرحلات، فهي تولي اهتماما كبيرا بأسلوب الكتابة، ثم المعلومات التي تتضمنها، لأجل ذلك « يقضي التأليف فيها ثقافة واسعة، ودقة في الملاحظة، والتقاط الملامح المعربة، ومشاركة عدد كبير من المعارف لاحتواء الرحلة على المعارف، وعلوم متعلقة بالتاريخ، والجغرافيا والفلسفة، والاجتماع، والأدب، وتفرض الأناقة في

[1]– مجدي وهبة وكامل المهندي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1984م، ص 17.

[2]– الموسوعة العربية العالمية مجلد.11ط2.عام1999.ص137

[3]– فوار الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف : إميل يعقوب، ط1، دار الجبل، بيروت، 1420هـ – 1999م، ص 197.

تخييرالمفردات،وصياغة العبارات، وتنسيق الفصول [1]»، فاهتمام هذا الفن بأسلوب الكتابة، بين أهميتها عن باقي الفنون الأخرى.

« لا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اهتم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة [2]». فالرحلة تشمل الفن القصصي والمسرحي أيضا.

– وفي الأخير يمكننا القول أن الرحلة هي دليل القارئ الذي يرافقه خلال تجواله بين سطورها، والغوص في أعماقها وتفاصيلها، ومجهولاتها، آخذة بيده، ومرافقة له إلى معالم جديدة.

عناصر ومكونات وخصائص الخطاب الرحلي:

1–عناصر الخطاب الرحلي: يستلزم توفر ثلاثة أطراف في الخطاب الرحلي،بوصفه خطابا سرديا، كما هو الحال في السرديات، وهذه الأطراف هي:

1–1–الحاكي أو الراوي « الراوي في الرحلة، هو المؤلف نفسه، وهو الذات المركزية التي تقوم بفعل الرحلة، وتقوم بتلفيظ تلك الرحلة، وهذه الذات في انتقالها عبر الأماكن المزورة، لا تنفصل عن ثقافتها، ومعتقداتها، ورؤيتها للعالم، ولهذا نجدها حاضرة باستمرار يمر من خلالها الحكي...فعنما يرحل الرحالة لا يرحل بجسده فقط، بل بعقله وفكره وقلبه ووجدانه [3]» وهذا يعد ميزة في الكتابة الرحلية، كون الحاكي موضوعا للحكي وحاكيا في الوقت ذاته «وقد يكون موضوعا للحكي عندما يسرد وبهذا يقد الراوي معرفة موضوعية أثناء الوصف، كما يقدم تجربة ذاتية أثناء السرد ».[4]

---

[1]_عبد المنعم جبور ، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1979م ص 122.

[2]_شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 8.

[3]_د عبد الجبار، د أشرف همداني، مكونات خطاب أدب الرحلات وخصائصه، مجلة القسم العربي، العدد 27، سنة 2020، ص 259.

[4]_سعيد يقطين .السرد العربي مفاهيم وتجليات،منشورات الاختلاف.الجزائر.ط1.2012.ص 176.

2-1-المحكي عنه: ونقصد به الرحلة أو السفر الذي أنجزه الرحالة في الواقع «وهكذا يصبح السفر بنية مهيمنة من جهة، وبنية متحكمة وجاذبة لباقي البنى من جهة أخرى إلى الحد الذي تخضع فيه هذه الأخيرة لبنية الصفر [1]» لذلك يجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه عندما تكون بنية الصفر مكونا كباقي المكونات نكون أمام أجناس أخرى.

3-1-المحكي: أو الحكاية، وهو خطاب الرحلة، فلكل خطاب ما يميزه عن غيره، والخطاب الرحلي يكون السفر الذي قام به الرحالة أهم موضوعاته من بداية الرحلة إلى نهايتها «فهو يبتدئ بتحديد أسباب الرحلة ودوافعها، وزمن الخروج ومكانه، وكلما انتقل الرحالة من مكان واكب الخطاب هذه التحولات، وصولا إلى النهاية، والرجوع إلى نقطة الانطلاق، وبهذه المواكبة يكون خطاب الرحلة هو عملية تلفيظ لفعل الرحلة، وبعملية التلفيظ هذه يختلف خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات المجاورة [2]» فطريقة بناء الخطاب تسمح لنا بتمييز خطاب ما عن غيره.

2- مكونات الخطاب الرحلي:

ويمكن حصرها في مكونات أساسية هي:

1-2-المعرفة: فأوجه المعرفة عديدة ومتنوعة، «والرحالة وهو يقيم هذه المعارف، إنما يسعى إلى إفادة القارئ بما يظنه مفيدا له،وهذه المعرفة التي يقدمها الرحالة تخضع لشخصيته وتكوينه الثقافي[3]» وتقديم المعارف بغية استفادة القارئ ليس بالأمر المستغرب بل هو من الأهداف بالدرجة الأولى.

---

[1]_عبد الرحمن مودن، الرحلة المغربية في ق 19، مستويات السرد، الأهلية للنشر والتوزيع.عمان.الاردن.2006ص125

[2]_سعيد يقطين .السرد العربي، ص 170، 171.

[3]_د. عبد الجبار، د أشرف همداني، مكونات خطاب أدب الرحلات وخصائصه، مجلة القسم العربي،.العدد27.جامعة بنجاب باكستان 2020ص160

2-2-السرد: بما أن "أدب الرحلة" ينتسب في أساسه للحقل السردي، فلا يمكن الاستغناء عنه في الكتابة « والسرد يبدأ مع بدء الرحلة، ويستمر إلى نهايتها، وهذه المسيرة السردية تتكون من مقاطع سردية دائمة الحضور في كل الرحلات...والمقاطع السردية تتخللها محطات يتوقف فيها السرد ليفسح المجال لمكونات أخرى بالاشتغال ».[1]

3-2-الوصف: يعتبر الوصف من أهم مقومات الفعل السردي في أدب الرحلات « والوصف يتطلب انتهاجا، ودقة ملاحظة من الواصف، لكي يستوعب أكثر المعاني، بصورة حية يراها القارئ أمام عينيه مجسدا، والموصوف الذي يلفت نظر الرحالة هو الأشياء الغريبة وغير المألوفة لديه، وتبعا لهذا تختلف الموصوفات في الرحلات حسب الأوساط التي عاش فيها الرحالة...فالمألوف معروف ولا يحتاج إلى إعادة تعريف ».[2]

4-2-الحوار: وهو أيضا من مقومات الفعل السردي في الخطاب الرحلي«ويشتمل الخطاب الرحلي على الحوار، لأن الرحالة يقطع رحلات....ويقابل أشخاص، وهذا يستدعي ضرورة التخاطب مع أناس يلقاهم، وتتفاوت الخطابات في الرحلة حسب الخطة السردية..قد يكون الحوار سطحيا لعدم اهتمام الرحالة بمشاعر الأشخاص وانفعالاتهم، وقد يأتي الحوار حيا نابضا، لأن الرحالة يوظف الحوار ضمن حركة السرد [3]».

5-2-التخييل:لا يمكن الاستغناء عن السرديات التخييلية في الخطاب الرحلي، لأنه في الأساس خطاب أدبي «والتخييل في الخطاب الرحلي لا ينافي مصداقية الرحلة، لأنه أسلوب تغييري تابع لأسلوب جماعة (أعراف) في تحديد ما هو واقعي وما هو تخييلي، وكذاك

[1] _د. عبد الجبار، د أشرف همداني، مكونات خطاب أدب الرحلات وخصائصه، مجلة القسم العربي، العدد 27، سنة 2020، ص 161.

[2] _نفسه.ص161

[3] _د.عبد العليم محمد إسماعيل علي .تقنيات السرد، أساس أدبية الرحلة، ص 30.

خطاب الرحلة أساسه اللغة، واللغة في حقيقتها تخييل ولذلك الفرق بين تخييل السرديات والتخييل الرحلي في الدرجة وليس في النوع ».[1]

6-2-الشعر: بما أن الشعر يحتل مكانة عالية في الثقافة العربية، فإن الرحالة كثيرا ما يملؤونه في رحلاتهم إما من إبداع الرحالة نفسه او من إبداعات أخرى يضيفها لأجل إمتاع القارئ.

3- خصائص الكتابة الرحلية:

فككل خطاب له مميزاته تملك الكتابة الرحلية عدة خصائص نذكر منها:

- هيمنة بنية السفر.

- الذاتية: فذات الرحالة تحتل المركز في الحل والترحال.

- الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا.

- الواقعية: فكل ما يدور في الرحلة من أشخاص وأماكن هم موجودون في الواقع، وهذا ما يميز الرحلة عن الرواية.

- دورة الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق.

- تعدد المضامين وتداخل الخطابات: يشمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة: دينية، تاريخية، جغرافية، أدبية...وتتداخل فيه خطابات مختلفة مثل: الشعر، الرسالة، الوصف، السرد...وهذا ما يجعله جنس من الأجناس، أو محصلة الأجناس...[2]

وتتجلى هذه الخصائص في مؤلفات أدباء الرحلات كسمة بارزة.

[1]_عبد العليم محمد إسماعيل علي ,تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص 30.

[2]_ينظر:في الخطاب الرحلي:ص5-9.

دواعي الرحلة وأنواعها وأهميتها:

1-دواعي الرحلة: من الطبيعي أن لكل رحلة أسبابها وعواملها التي تدفع بالرحالة للقيام بها، وتختلف هذه الدوافع باختلاف الأهداف سنحاول حصر أهمها:

1-1-الدوافع الدينية: وهي الرحلات التي تقوم في أساسها عل هدف مرتبط بالعقيدة والدين.

كرحلات الحج، وقصد البقاع المقدسة، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وكرحلات الرسل في تبليغ الدعوة، ورحلة الإسراء والمعراج، ورحلات الوفود لاعتناق الاسلام، ورحلات الصحابة لتعليم قواعد الإسلام...[1]

2-1-الدوافع التعليمية أو العلمية: فطلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للترحال .« كما فعل "الحارث بن كلدة" الطبيب في الجاهلية، ثم اللغويون والنحويون ورواة الشعر فيما بعد الأخذ عن القبائل الخالصة [2]» وقد حث الإسلام على طلب العلم والسعي لتحقيقه.

3-1-الدوافع السياسية: وتكون على قسمين إما رحلات معلنة «بغرض التعرف على أحوال البلاد السياسية ومراكز الحياة العلمية...على غرار الوفود والسفارات، التي يرسل بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام دول أخرى لتبادل الرأي...أو تمهيدا لفتح أو غزو...[3]» ورحلات تمويهية تعلن فيها الرحالة عن أسباب ويتستر عن الحقائق.

---

[1]_ينظر: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و8هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، سنة 1417هـ / 1996م، ص 42-44.

[2]_حسين حضار، أدب الرحلة، إشراف: محمود علي مكي، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، سنة 1991م، ص 34.

[3]_ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، سنة 1423هـ - جويلية 2002م، ص 20.

4-1-الدوافع الاقتصادية: لها عدة قد تكون بغرض التجارة وتبادل السلع، أو هربا من الغلاء، أو سعا للوفرة والسير والعمل[1]. ويمكن أن تكون لأجل تقديم مساعدات أو البحث عنها.

5-1-الدوافع السياحية والثقافية: وتشمل هذه الرحلات جانبي الراحة والاستجمام والإمتاع، إضافة إلى دافع التعرف على ثقافات الشعوب الأخرى، وأخذ خلفية عنها. « تعد رحلات السياح الأجانب إلى بلادنا مصدرا هاما لدراسة تاريخ مدنها، وآثارها، وأحوالها ...وبتدوينها لبعض النواحي التي أغفلها بعض مؤرخونا...فيفها شرح العادات وأزياء حياة أهلها، وملامح من عيشهم بأعين مختلفة[2]» لأن كل مألوف معروف فالأجنبي يلاحظ ما يغيب عن أهل المنطقة من تفاصيل.

6-1-الدوافع الخيالية: قد تكون دوافع الرحلة متعددة، وقد لا نعدو أن نجد أسبابا أخرى للترحال، عادة ما تكون على لسان رحالة وهمي وبالتالي هي « نوع من القصص الخرافي والأسطوري كتبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنحة، وأساليب مشوقة قصد التسلية[3]» ويمكن أن تكون هذه الرحلات هربا من الواقع، أو سخطا على حال من الأحوال.

وفي الأخير يمكن أن يكون دافع السفر، هو لأجل التلاقي والتعارف فقط قال تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).[54]**

2: أنواعها: هناك العديد من التقسيمات، فتختلف باختلاف الأوجه المتناولة في الطرح،

---

[1] _ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20.

[2] -كارين صادر، دمشق في عيون الرحالة الفرنسيين، مجلة التراث العربي، ع 11، إتحاد الكتاب العرب بدمشق، دمشق، جماى 2 1430هـ/ جوان 2009م، ص 268-269.

[3] _محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1419هـ/ 1999م،ص476

[4] _ سورة الحجرات ،الاية13

فيوجد أنواع للرحلة قائمة على أسبابها ودوافعها من جهة، ومنجهة أخرى هناك تقسيم قائم على نثرية الخطاب من شعريته، أما التقسيم الذي سنتناوله فهو الذي يفصل بين المتخيل والواقع وهي نوعان:

1-الرحلة الحقيقية: «وهي مباشرة، أي أن هذه الرحلة قامت بالفعل من طرف الرحالة، من خلاله سفره إلى ذلك المكان والكتابة عنه، ومعايشة تفاصيله، حاضره وماضيه[1]» والرحلات الحقيقة هي التي تعتمد كمصادر تاريخية ووثائق مرجعية.

2-الرحلة الخيالية: وهي الرحلات التي يدونها أصحابها من وحي خيالهم، أي غير حقيقية «يقوم بها الباحثون عن المدن الفاضلة، أمثال أفلاطون في "الجمهورية" والفارابي في "المدينة الفاضلة"...وقريب منها الرحلة إلى الآخرة يقوم فيها الأدباء...برحلة خيالية خارج عالمنا...على نحو ما فعل ابن الشهيد الأندلسي...في رسالة "التوابع والزوابع" وأبو العلاء المعري في "رسالة الغفران"[2]» وتكون هذه الرحلات إما لتحقيق أحلام أو للإجابة عن بعض الاسئلة الغيبية وغيرها.

3-أهمية الرحلات:

يشكل أدب الرحلة أحد المصادر المساعدة للتاريخ، بل يعتبر أهم حلقاته الأساسية، وعلى غرار ذلك تكتسي الرحلات أهمية بالغة في حياة الإنسان، وهي ترتبط بعدة علوم ومعارف، ويمكن أن نجمع أهمية الرحلات فيما يلي:

أ. «ترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى، سواء كانت صادقة أم خاطئة [3]»، ذلك أن الرحالة يعبر عن رأيه الشخصي والخاص به.

---

[1]_نبيلة مهرهرة، سارة عياشي، صورة الأنا والآخر في "رحلة" جزائري في الأندلس رحلة لسفيان مقنين: مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة محمد الصديق 2018.ص19

[2]_الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن دار المعارف ،فلسطين،2017/1/12،ص324

[3]_ينظر :حسين نصار، أدب الرحلة اهميته واسلوبه وخصائصه وتطوره، ص28

ب. «الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين، جابوا العالم ودونوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورا لما شاهدوه وخبروه في أقاليمه القريبة والبعيدة، لاسيما في القرنين الماضيين الذين شهدوا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النخب العربي المثقفة [1]»، كما هو الحال عند "فارس الشدياق".

ج. «الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسربت عبر سطور الرحلة، والانتباهات التي ميزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار [2]»، إذ نجد الاهتمام الغربي بالآخر العربي "الاستشراق" والعكس...

د. للرحلات قيمة علمية تكمن في «تضمينها الكثير من المدونات والمعارف التاريخية والجغرافية، وما تحتويه من تصوير للحياة الاجتماعية، السياسية، والعمرانية، والاقتصادية... [3]» وكأنها صورة حقيقية.

هـ. تبرز قيمتها الأدبية في أن ما كتبه الرحالة يأخذ طريقه إلى عالم الأدب بما فيه من صدق للتجربة، واللهجة الشخصية والتصوير الفني الحي...قريبا للقصة.[4]

و. أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العمارة، إيثارا للتعبير السهل المؤدي للغرض.[5]

---

[1]_عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي وسلمان القريشي، مج 1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، سنة 2006، ص 167

[2]_محمد علي باشا، الرحلة الشامية، تحرير: أحمد علي كنعان، سيكو للطباعة والنشر، ط1، بيروت، سنة 2002.ص37

[3]_فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، اشراف ايميل يعقوب،ط1،دار الجيل بيروت،1420هـ/1999م،ص 197.

[4]_نفسه، ص 197.

[5]_فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص20

أدب الرحلة عند العرب:

لقد عرف العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي، رحلات تجارية إلى العراق، الشام واليمن...وغيرها.

ومع انتشار الإسلام انتشرت العديد من الرحلات، فقام المسلمون «بوصف البلاد التي فتحوها...ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية [1]». وفي العصر العباسي وصل هذا الفن إلى قمة نضجه وبرز كتابان شهيران: "كتاب البلدان، "فتوح البلدان" لليعقوبي (292هـ)، والبلادري (279هـ)، وأشهر رحالة هذا العصر "ابن فضلان"، و"الأندلسي أبا عبد الله محمد بن محمد الإدريسي" صاحب كتاب نزهة المشتاق في احتراق الآفاق"، وأحمد ابن جبير الكناني البلسني (1144هـ) «رحلة ابن جبير » ولسان الدين ابن الخطيب (731هـ-776هـ) في رحلاته «خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، و"الرحلة العياشية" (1661-1662) لأبي سالم العياشي المغربي، ثم تظهر رحلة محمد المكي الدرعي الناصري صاحب "الرحلة المراكشية"[2].

أما رحلات عصر النهضة فقد شهد القرن التاسع عشر نقلة نزعية في أدب الرحلة، خاصة بعد الغزو الاستعماري الذي دفع بالكثيرين من الرحلة للاتجاه نحو أوروبا:

كـ: «أحمد فارس الشدياق في كتابه " كشف المخبأ عن أحوال أوروبا" وصف عاداتهم وأخلاق الانجليز وسبب تقدمهم [3]»، «وبطرس بن بولس البستاني الماروني الذي جمع رحلاته في مدونته دائرة المعارف » وهي موسوعة ضخمة، ورحلة محمد لبيب البتنوني في "رحلة إلى الأندلس"، والعديد العديد منهم الذين برعوا في الرقي بهذا الفن.

---

[1]_محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، ج1، دار الفكر العربي، بيروت، سنة 1996، ص 140.

[2]_ينظر بورقبة مريم، أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا، مذكرة ماستر في اللغة والادب العربي ،تخصصدراسات جزائرية في اللغة والادب ،كلية الاداب واللغات، جامعة ادرار،2013/2012،ص23

[3]_المرجع نفسه ،ص 23

أدب الرحلة عند أمين الريحاني:

في أدب الرحلة، كان الريحاني سباقا، فهو «رحالة لم يهدأ إلا بالموت الريحاني من مشرق العرب إلى مغاربهم [1]» كما جاء في مقال لميشال خليل جحا تاريخ و«قد استطاع أن يطور أدب الرحلة عما عرفه العرب قديما وتاريخ وتراث الشخصيات لدى الرحالة والمستشرقين، وأسبغ عليه روحا أدبية فريدة، وطابعا سوسيولوجيا و انتروبولوجيا....محررا إياه من أسر نزعة الوصف والجغرافيا»[2].

ولقد كان الإنسان والمجتمع هما محوره في هذا الأدب، كدرس للإنسان العربي، وكرد على المستشرقين ردا علميا فعليا وليس نظريا «وكل أعماله كانت تنم عن موقف حضاري ووعي قومي يسعى إلى استنهاض همم العرب، ولفت انتباههم إلى الحالة المزرية تحت نير قوى الاستعمار، بإلحاحه على قيمة الاتحاد في ما بينهم...لتحقيق النهضة حقيقية تؤكد تميزهم واستحقاقهم ماضيهم الذي تشهم عليه آثارهم في بلادهم الحالية وخارجها [3]» فقد قام الغرب على مجامع المعارف والعلوم العربية، وأناروا شموعهم بفتائل العرب.

وقد عودتنا الرحلات أن تكون مغايرة للذات –في الأغلب– لكن في رحلات الريحاني تختلف الصورة، فقد طاف بأرض العرب شرقا وغربا، وحتى رحلته إلى أنجرما "نور الأندلس" إلى إسبانيا، كانت لها صلة عميقة بالثقافة العربية باعتبار العلاقة الحميمة التي تربط العرب بالأندلس، فهي رحلة إلى الداخل والدخيلة في نفس الوقت.

رحلة نور الأندلس "لأمين الريحاني":

رحلة "نور الأندلس" هي آخر رحلة أنجزها الريحاني بعد رحلته "المغرب الأقصى" والتي أعرب فيها عن إبهاره بمنجزات الاستبيان في الأراضي المغربية لذلك «اهتبل الاسبان

[1]_ميشال خليل جحا، رحالة لم يهدأ إلا بالموت، تاريخ وتراث الشخصيات، مجلة العربي، العدد 513.

[2]_نفسه.

[3]_مزوار الإدريسي، (3/مارس/2019)،"نور الأندلس"...آخر محطات أمين الريحاني ،تم الإطلاع عليه بتاريخ (2022/4/7) موقع العربي books.https://www.alarab.com

موقفه فعرضوا عليه القيام برحلة إلى اسبانيا على نفقة مصادقة نظام الحكم الديكتاتور فرانكو [1]» فالريحاني لم يخطط لزيارة اسبانيا وإنما وافق بعد أن عرض عليه بالرغم أن هناك من كان يرى في موافقته عمالة ورشوة.

وقد استغرقت الرحلة شهرين من صيف سنة 1939 «تحتضن نزر الأندلس أجناسا متنوعة من الكتابة، فهي تحكي مشاهدات وتجارب، وتسرد تاريخا عربيا اسبانيا...تضف العمران والطبيعة، وتعرف بمظاهر الحياة الاجتماعية الاسبانية وتحلل النظام السياسي العربي الاسباني.. [2]» فهناك علاقة وطيدة بين العرب والأندلس، لذلك كانت الرحلة قريبة للهوية العربية.

ولقد ألم الريحاني بجغرافية اسبانيا ولم يقصر على إقليم الأندلس فحسب لكن «الأهم في الرحلة هو ان العنوان نور الأندلس، هو فصل تخييلي...سرد في قصة هي حلم تمثل لقاءا ليليا في قرطبة بالفيلسوف أبي الوليد ابن رشد، لكنه حلم ينضخ رغبة في النهوض بالعرب... [3]» ذلك أنه قدم فيه أسباب تخلف الدولة العربية وأعطى إجابات لإمكانية النهوض والتقدم.

وكأي رحلة تمثل أبعادا إنسانية مختلفة، جاءت رحلة الأندلس منفتحة علميا ومحيطة بكل جوانبها.

[1]_مزوار الإدريسي،(2019/3/3)،نورالأندلس آخر محطات أمين الريحاني،تم الاطلاع عليه (2022/4/7) موقع العربي الجديد، books.https://www.alarab.com

[2]_نفس المرجع .

[3]_نفس المرجع.

ترجمة للمؤلف "أمين الريحاني":

أمين الريحاني، أديب، وشاعر، ومفكر نهضوي سياسي، روائي، مسرحي رسام كاركتير، مصلح اجتماعي، رحالة...من عمالقة الأدب العربي ورجال الفكر، صاحب لقب "فيلسوف الفريكة".[1]

– ولد أمين الريحاني في 24 من شهر نوفمبر 1876 –بفريكة– لبنان «أبوه فارس بن انطوان بن يوسف بن المطران باسيل البجاني، ينتهي نسبه إلى سعادة في اهدن...وأبوه تاجر حرير ميسور...وأمه أنيسة ابنه جفال طعمة البجاني، تصرف وقتها صائمة مصلية زاهدة متقيدة تقرع الصدر وتتردد إلى الكنائس » هو من أسرة مارونية ويقال أن منزله كان محاطا بشجرة الآس أو الريحان، فأطلق عليهم لقب بيت الريحاني نسبة لها.

سيرته الشخصية:

يعد أمين الابن الأكبر لمصنع الحرير الخام اللبناني الماروني، لعائلة مكونة من ست أولاد، تميزت طفولته بنباهة والفطنة وفي نفس الوقت بالشقاوة، وبعدم التزامه بالشعائر الدينية.

ولقد نشأ في بيئة جبلية لبنانية يطغى عليها العرف والأحكام، حيث لم تختلف ضيعته –فريكة– عن سائر الضيع، فـ«الفريكيون عامة كسائر لبناني الجبل، صليبو الرأي وثقافتهم بدائية لا تعد وكتابه الرسائل...وقراءة المهلهل وبني هلال أما سياستهم فعقيمة في المحليات».[2]وطبعا أثرت بيئته في نشأته الأولى. تلقى الريحاني مبادئ اللغة العربية والفرنسية في بلدته فريكة، وأرسله والده إلى نيويورك مع عمه سنة 1888، حيث تعلم مبادئ اللغة الإنجليزية ثم استلم المحاسبة وأصبح كاتبا ومترجما فوريا.[3]

[1]–جميل جبر، كتاب الريحاني سيرته وحياته،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،ط1،سنة 1942 م ،ص09

[2] _نفسهً.ص10

[3] _ينظر، أمين الريحاني، أبرز أدباء وشعراء المهجر، منظمة أمين الريحاني.

وقد كان الريحاني شديد المطالعة، فتأثر بالأدب العالمي ككل وبشكسبير وداروين وهكليي وتولستوي وفولتير وبايرون...على الأخص...وفي عام 1895م نجرف الشباب بحمى المسرح، والتحق "بجوقة دجويت" السيارة، فجاب أرجاء أمريكا إلا أن الجوقة أفلست وعاد الابن الضال إلى أبيه [1].

– التحق بمعهد الحقوق في 1897 بجامعة نيويورك، اشتغل بالتجارة والأدب، وقد انتهت مرحلته الأولى بترجمة مختارات أبي العلاء المعري للإنجليزية وقد أبدع.

«تزوج من الكاتبة الأمريكية "برشا" في 1916، وقام معها بزيارة "البابا بندكتوس" الذي كان مهتما بإقامة السلام[2]» فقد أشهر الريحاني بنبذه للتعصب الديني والطائفي، وأظهر ذلك في خطاباته، رغم انتقاده.

– في 1922 عاد أمين إلى لبنان، وبعد ذلك زار الشريف حسين في مكة وإمام اليمن يحي، والتقى بأحمد جابر الصباح، وحمد بن عيسى شيخ البحرين وملك العراق الملك فيصل، وخلال هذه الرحلات تعرف على الحياة في البلاد العربية، فقاد ثورة نحو الإصلاح دعا فيها لنبذ التطرف والعادات السالبة...ومواكبة الحداثة العالمية.[3]

وفاة الريحاني «في 15 أغسطس 1940 تعرض أمين لحادث سقوط عن دراجة وتوفي في 13 سبتمبر عام 1940، ودفن في بلدته، وأقيم له تمثال نصب في الجامعة اللبنانية[4]» وقد ترك وراءه العديد من الإنجازات والأعمال التي ترجمت إلى لغات عدة.

---

[1] _ينظر ،جميل جبر،الريحاني سيرته وحياته ،27

[2] _فنانون ،(24.يوليو.2017)،امين الريحاني فيلسوف فريكة ،تم الاطلاع عليه بتاريخ (2022/04/12)موقع منظمة امين الريحاني w.w.w.amenrihani org،

[3] _.نفس المرجع.

[4] _ فنانون ،(24.يوليو.2017)،امين الريحاني فيلسوف فريكة ،تم الاطلاع عليه بتاريخ (2022/04/12)موقع منظمة امين الريحاني منظمة أمين الريحاني ،w.w.w.amenrihani org

سيرته العلمية: (إنجازاته):

تميز الريحاني بالشمولية في الكتابة، وثنائية اللغة (العربية والإنجليزية) "الأب المؤسس للأدب العربي الأمريكي". لذلك كانت طريقته في الأدب مدرسة تعددية الأغراض جوهرية الهدف يقول: «إني أشعر وأتيقن في بعض الأحايين أن شخصيتي مركبة ن شخصيات عديدة متنافرة في أشكالها متآلفة في جوهرها، هذه الشخصية هي أدبيا: شرقية، غربية، فلسفية، شعرية، علمية عملية...[1]» وهذا الذي يفسر تعدد واختلاف اهتماماته.

إنجازاته: «63 كتابا و54 ترجمة و5467 مرجعا[2]» ابتدأ التأليف في 1902 «أول كتاب "نبذة عن الثورة الفرنسية" 1902[3]» ثم تلاه كتاب "المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية" [4]1903.

في عام 1910 أصدر "الريحانيات" بجزأيه الأول والثاني[5]» عكس فيه معتقداته وقيمه الفلسفية والاجتماعية. «كتاب "الخالد" بالإنجليزية عام 1911 ، مهد فيه الطريق للأدب العربي الأمريكي وحاول تفسير وحدة الأديان والعبادة[6]»،«رواية "زئبقية الفور" عام 1945[7]».

---

[1]_أمين الريحاني، الريحانيات، المؤلفات العربية الكاملة، المجلد 1، المقطع 5.

[2]_محمد بكري، حوار مع ألبرت بمناسبة صدور أعمال أمين الريحاني الكاملة، جريدة الحياة،مكتبة لبنان ، بيروت، (14افريل2018)

[3]_كتاب.أمين الريحاني نبذة عن الثورة الفرنسية :النكبات ،شذرات من عهد الصبا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت1981م

[4]_كتاب المحالفة الثلاثية ،بيروت: دار الجيل، 1989.

[5]_كتاب الريحانيات ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،سنة1983

[6]_كتاب الخالد ،رواية فلسفية اجتماعية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ، سنة 1911م

[7]_رواية زئبقية الغور، دار الجبل.بيروت ،سنة 1915م

في عام 1910 أصدر "الريحانيات" بجزأيه الأول والثاني[1]» عكس فيه معتقداته وقيمه الفلسفية والاجتماعية. «كتاب "الخالد" بالإنجليزية عام 1911 ، مهد فيه الطريق للأدب العربي الأمريكي وحاول تفسير وحدة الأديان والعبادة[2]»،«رواية "زئبقية الفور" عام 1945[3]».

ثم بدأت رحلات الريحاني للبلاد العربية في عام 1922 والتقى بملوكهم وحكامهم، ألف: «"ابن سعود: شعبه وبلاده" في 1935...[4]» وصف تحليلي موضوعي للجزيرة العربية.

– ثم قدم إلى المغرب وألف: «كتاب "المغرب الأقصى" عام 1939، و"نور الأندلس". وأخيرا كتاب "قلب لبنان" عام 1940[5]» ووافته المنية في العام نفسه، إلا أن هناك العديد من الكتب صدرت له بعد وفاته.

من أشهر أقواله:

«حريتي من الله فإن فقدتها فانا وحدي المسؤول عن ذلك ».

[1]_كتاب الريحانيات ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،سنة1983

[2]_كتاب الخالد ،رواية فلسفية اجتماعية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت ، سنة 1911م

[3]_رواية زئبقية الغور، دار الجبل.بيروت ،سنة 1915م

[4]_.كتاب ابن سعود شعبه وبلاده ، سنة 1927م

[5]_كتاب المغرب الأقصى ،المؤسسة العربية للدراسات وال–نشر .بيروت ،سنة1939م

الفصل الأول:البعد الاجتماعي والسياسي في رحلة نور الأندلس

المبحث الأول: مكوّنات المجتمع الأندلسي

المطلب الأول: الفاتحون (العرب – البربر – الموالي "الصقالبة")

المطلب الثاني: أهل البلاد (النصارى الغوط والمعاهدون "موزاراب")

المطلب الثالث: أجناس أخرى (الموّلدين، اليهود)

المبحث الثاني:العناصر الحضارية في رحلة نور الأندلس

المطلب الأول:الزراعة

المطلب الثاني:الصناعة

المطلب الثالث:المدن والعمارة(المدنية والدينية)

المبحث الثالث:مراحل الحكم السياسية في الأندلس

المطلب الأول:عصر القوة(الفتح والإمارة والخلافة)

المطلب الثاني:عصر الضعف(المرابطون والموحدون والنصريون)

المبحث الرابع:المرأة والحكم وأسباب السقوط

المطلب الأول:أسباب سقوط العرب

المطلب الثاني:الحضور السياسي للمرأة

المبحث الأول: مكوّنات المجتمع الأندلسي

لقد تكوّن المجتمع الأندلسي من أجناس مختلفة، ثقافة، ولغة، ودينا، ولكنّهم امتزجوا ببعضهم البعض امتزاجا تسّرب في عقولهم كما في دمائهم، وكان لهم نزعة عقلية جديدة خاصة ميّزتهم عن غيرهم.

وسأحدد في هذه الدراسة أغلب مكوّنات المجتمع الأندلسي وأبرزها:

" قام المجتمع الأندلسي بصفة عامة على قسمين الفاتحون وأهل البلاد الغوط وانقسم هؤلاء إلى أعراق أخرى فضمّ مجتمع الفاتحين العرب والبربر والموالي أماّ أهل البلاد فالمجتمع الغوطي أيضا كان منقسما إلى قسمين "الحكام الغوطيون والرعايا من أهل البلاد".[1]

وسنقدم في دراستنا هذه عناصر كل من القسمين، وما نتج عن اندماج هاته العناصر.

المطلب الأول : الفاتحون (العرب،البربر،الموالي)

1. العرب:

كانت جمهرة جيش الفاتحين مؤلفة من البربر وليس فيه من العرب إلاّ قليل ولمّا تمّ الفتح أرسل الأمويون قبائل من الشام، جلهم من قيس وأفناء واليمن و... وقد حدّد الريحاني بعضنا من قبائل العرب وحزبياتهم وهو ينتقد عصبيتهم القبلية "ومن آفات العرب الحزبيات الإقليمية اليمنية والقيسية والدولية الأموية والعباسية والمذهبية الإفريقية الشيعية والأندلسية السنية"[2]،ونبدء بالحجاز"لقد كان أكثرهم في الفتح الأوّل من عرب الحجاز، وخصوصا من أهل المدينة ..."[3] وعرب الشام في الفتح الثاني "هذا هو الفاتح الثاني، والجيش الفاتح من سوريي حمص دمشق، ويرأسه بلج القيسي من قبيلة قشير ..."[4] وقد سموا

[1] _ أحمد شحلان، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تنسيق سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1999،ص35

[2] _أمين الريحاني، نور الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة جمهورية مصر العربية، 2012/08/26، ص 80

[3] _نفس المرجع، ص 43.

[4] _نفس المرجع، ص 43.

أيضا بالبلديون الشاميون "وقد كانت النواة الأولى للعرب الذين وصلوا إلى الأندلس، تكوّن من القيسين والكلبيين ممّن وفد مع موسى ابن النصير، ثم جاءت دفعة أخرى مع الحر بن عبد الرحمان الثقفي، وتوالت الهجرات، فسميّ الوافدون مع ابن النصير بـ: البلدين والوافدون مع بلج بن بشير بالشاميين"[1]. وعلى الرغم من هذا التعدد والاختلاف إلاّ أنّ العصبية القبلية ما كانت موجودة في بدايات الفتح، فقد كان الهدف في فتحهم المبارك هذا هو حمل رسالة سامية، وهي رسالة الإسلام والإيصال ما جاء به من شريعة سمحاء، تجعل من بني البشر سواء إلاّ بالتقوى ومن خالف هذه الرسالة مسالما عاملوه بالإنسانية والقسط، قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ سورة الممتحنة الآية 08.[2]

وعليه " نجد العرب في اسبانيا فاعلين إيجابيين، وذلك بسبب مبدئهم المعروف بعدم العنصرية والتفرقة بين العباد خاصة الذي دخل في دينهم أصبح منهم، له مالهم وعليه ما عليهم وتاريخ الأندلس شاهد على هذا"[3] ذلك أنّ اسبانيا قبل الفتح كانت عبارة عن مقاطعات كبيرة، تتغذى الطبقة الحاكمة فيها على جهد الرعية وبعد الفتح نعموا بالعدل والمساواة والإنصاف.

2. البربر:

وكما أشرنا سابقا فإنّ البربر كانوا هم الأغلبية في مجتمع الفاتحين، ولكنّهم سرعان ما تعرّبوا لغة وثقافة.

وأما الفترة التي استولى فيها البربر على الكثير من المدن الأندلسية، كانت في عهد المرابطين، "لما اعترى الإسلام من الفساد، وشرّه ما تفشى في الأندلس أفتى علماء المغرب

[1] _ د. أحمد شحلان، مكوّنات المجتمع الأندلسي ومكانة أهل الذمة فيه، كلية الآداب، الرباط، الزهوانية، الجمعة، 2013/11/22.

[2] _سورة الممتحنة، الآية رقم 08.

[3] _ محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، المجلد 7 / عدد 2، كلية الآداب واللغات جامعة – البليدة – ديسمبر 2020، ص 283.

بفتحها وانتزاعها من يد العرب المتساهلين في دينهم وما كان الفتح متعسرّا لأنّ العرب أنفسهم عاونوا الفاتح واستظهروا به على الأعداء النّصارى .... وهذا دليل على أنّ العرب والبربر جمعهم الإسلام واللغة والثقافة"[1].

وهؤلاء المرابطين الذين تدفقت جموعهم إلى الأندلس، وكان أكثرهم من زناتة ثم تبعتهم صنهاجة "ولما فتح الموّحدون الأندلس، واستولى يوسف على شرقها، أنزل زناتة في بلنسيا، وصنهاجة وهسكورة في شاطبة ومرسيا، وأهل تنمل في لورقة، وكوميا في المرية وبرشلونة".[2]

وقد كان هناك الكثير من أبطال البربر الشجعان نذكر منهم: "طارق بن زياد" والذي لقب المضيق باسمه "المؤرخون متفقون في أن موسى وطارقا اشتركا في غزو الشمال، فكان طارق ورجاله في المقدمة، فيجئ موسى مكملا عمل مولاه ... ظافرين غانمين الغنائم .."[3]

ويأتي شجاع وبطل آخر في عهد ملوك الطوائف يوسف ابن تاشفين، والذي استنجد به من قبل بعض ملوك الطوائف فانجد ووفق في عمله "فكتب بعض ملوك الطوائف لبطل المغرب، يومئذ يوسف ابن تاشفين يستظهرونه على العدو ... فجاز يوسف بحبشة المضيق ... هزم النصارى ... وكان يوسف على ما يظهر قانونيا ..."[4] وغيرهم من الأبطال الذين ذكروا في منصات التاريخ والذين لم يذكروا.

3. الموالي (الصقالبة):

والصقالبة في الأصل هم خدم مستجلبون من الشمال، وأصلهم آسارى سلافيين أسرتهم الجيوش الألمانية في حروبها مع السلافيين، ثم حملوا إلى الأندلس وبيعوا فيها، وقد كانوا بإعداد هائلة ودخلوا في كل المجالات "وكثر الصقالبة في الديار العربية الإسلامية،

[1] _ أمين الريحاني، نور الاندلس، ص 87.

[1] _ابن عذاري المراكشي، البيان في المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1967، ص 69.

[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 52.

[4] _ نفس المرجع، ص 86.

فصار الولد الصقلبي في الحريم، والحاجب الصقلبي في مشور الخليفة والمولى الصقلي في خدمة الوجهاء والأئمة والجندي الصقلبي في الجيش أو بالحري في الحرس المكلي، بل كان في بلاط أمير المؤمنين في قرطبة خصوصا في عهد الخليفة عبد الرحمان ناصر "جيش" منهم وفيهم من كل بلاد نواحي الفرنجة حتى من البلدان التي على شواطئ البحر الأسود وكلهم يدعون صقالبة"[1] وهذا الخليط كله من الأعاجم وكان فيهم الأحرار والرقيق، ويدخلون كلهم في صنف الموالي "ويلحق بالعرب فريق كبير من الموالي وهم في الأصل عناصر غير عربية ولكنّ رابطة الولاء لهم تكاد تقارب رابطة النسب"[2] يقول الريحاني متحسنا حالتهم وأوضاعهم الإجتماعية في هذا المعالم الجديدة "وكان من حظ بعض الأسرى، أنهم دخلوا في خدمة العرب الخاصة، دخلوا بيوت المسلمين، فصاروا من أهلها .. ومنهم في المغرب"[3] وقد كان يقصد جميع الأعاجم من الأسرى ثم حدّد انحدار الصقالبة كما أشرنا سابقا يقول: "وفي الأندلس الصقالبة وهم في الأصل من قبائل السلاف SLAVS أسرهم الألمان في حروبهم ثم باعوهم إلى العرب تماديا في إذلالهم كما كانوا يظنون باعوهم إلى الـ "ساراسين" فأحسن معاملتهم كما كانوا يفعلون بغيرهم ممّا ملكت أيمانهم"[4] ونتيجة الإحسان إليهم بلغوا مكانة رفيعة في عهد الخلافة "وكثر عدد الصقالبة الموالي أيام الخلافة، وصار لهم ذكر وصية ... وبلغوا خطوة عند الحكم ما بعدها خطوة، وازدادت سطوتهم بعد موت الحكم، حتى ظنوا أن لا غالب لهم وأنّ الملك بأيديهم"[5] وعلى الرغم من سلبية موقفهم يومها، إلاّ أنّ هذا يدل على سماحة حاملي رسالة الإسلام التي تنبذ التفرقة والعنصرية على أساس اللّون واللغة وعهد الموالي والصقالبة في الأندلس خير شاهد ودليل.

---

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 91.

[2] _مؤلف مجهول .الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ،منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999.ص178

[3] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 91.

[4] _ نفس المرجع، ص 91.

[5] _ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عبّاس، دارالثقافة، بيروت، ج 2، ص 259.

المطلب الثاني: أهل البلاد (النصارى الغوط و المعاهدون)

وبقولنا أهل البلاد ليس نسبة الأصل وإنما القوم الذين وجدوا بالأندلس إبّان الفتح، فهم أيضا من الوافدين يقبل الريحاني عن النصارى الغوط "وجاء بعد الرومان إلى طليطم قوم من الغوط النصارى المتشعثة شعورهم الناعمة نظراتهم، فحوّلوا المعابد إلى كنائس وسرت إليهم من الشرق نزعات لاهوتية في طبيعة المسيح ومشيئته الإلهية والبشرية"[1] وقد كانوا في تدينهم هذا قد أصابهم الغلو، فأثار الرحالة وهو يسترجع التاريخ إلى عنصرية هؤلاء النصارى الغوط في معاملة اليهود يقول "وأولئك الغوط النصارى المتشعثة شعورهم الساجية عيونهم اللطيفة اللحاظ كانوا يتسلون بتعذيب اليهود، ويتقربون إلى الله وقديسيه بأموال يبتزونها من شعب الله الخاص"[2].

ومن معاملة النصارى لليهود المتسّمة بالجور والتفرقة، ينقلنا الريحاني إلى معاملة العرب لليهود والنصارى معا، وكيف أن قائد المسلمين أنذالك طارق بن زياد، اتسّم بالعدل والإنصاف والرحمة، "فلما جاء طارق بن زياد من جنوبي المضيق، فاتحا غانما باسم الإسلام والعرب كان يمشي أمامه أبناء إسرائيل أدلاء أولياء فيصدقونه الخبر ..."[3] ذلك أنّه أنصفهم وأحقّ حقوقهم فصاروا من أهل الذمة المعاهدين.

– وانقسم النصارى الغوط إلى ثلاثة فرق " وخيّر الغوط أهلها في واحدة من ثلاث نعم، فمنهم من فادوا بأريوس وروما ودخلوا الإسلام"[4]، وهؤلاء هو الأسالمة، المسلمين "ومنهم من فرّوا هاربين ومنهم من دفعوا الجزية وأقاموا والمسلمين في طليطلة أمنين مطمئنين"[5]، وهؤلاء هم النصارى المعاهدين "وهم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة في ظل الدولة الإسلامية، وكانوا يكوّنون مجموعات كبيرة في قواعد رئيسية مثل

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 63.
[2] _نفس المرجع ،ص64
[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 64.
[4] _نفس المرجع، ص 64.
[5] _ نفس المرجع، ص 64.

قرطبة واشبيلية وطليطلة"[1] فأصبحوا مشتركين مع العرب في كل مجالاتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ... وغيرها، حتى أنهم تبنوا لغتهم، ونظموا بها يقول الريحاني "ونشأ في طليطلة جيل يتكلمون باللسان العربي ويكتب النابغون منهم الكتب وينظمون القصائد باللغة العربية، فآكلوا المسلمين وشاربوهم، وشهدوا أنّهم من خير النّاس وبما أنّهم لم يشهدوا وغير ذلك سمّوا: موزاراب "mozarabe" أي مستعربين"[2] وقد مثّل توافق هذين الشعبين من العرب والنصارى المعاهدين قمة في الرقي والسمّو والتعايش الاجتماعي.

المطلب الثالث: أجناس أخرى

لقد أشرنا سابقا إلى أنّ الفاتحين لم يجبروا أحدا على اعتناق الإسلام، وكانت معاملتهم لأهل الذمة هناك معاملة سمحاء "ولما دخل المسلمون بمختلف العناصر التي كان يتكوّن منها الفاتحون، امتزجوا بأهل البلاد جميعا وتزاوجوا معهم ولنذكر أنّ هؤلاء الفاتحين لم يقدموا إلى هذه البلاد أسرا، وإنما رجالا فقط فكان عليهم أن يتخذوا أزواجا لهم من نساء البلاد ... ولم يكرهوا أحدا على اعتناق الإسلام، فأدّت هذه السياسة المتسامحة إلى أن يقبلوا الكثيرون منهم على اعتناق الإسلام، وسميّ هؤلاء المسلمين الجدد بالأسالمة "وسمي أبناؤهم بالموّلدين"[3] وهذا الصنف انحدر من المسلمين الجدد، وهناك صنف آخر نتج عن تزوج العرب بالمسيحيات، وهذا التزاوج كان اضطراريا كونهم كانوا رجالا فقط، وانتشر نتيجة اندماج العرقيين فالواقع الاجتماعي يفرض نفسه.

ويصف الريحاني الموّلدين بضعاف الهمم النفوس، وأنّهم لم يكونوا باب خير على الأمة الأندلسية "ومنها في ذلك الزمان تزوّج العرب بالمسيحيات، وقد شاع شيوعا ذريعا، خصوصا في قشتالة وأرغون، فنشأ في البلاد صنف من الناس سمّوا الموّلدين وهم المولدون

---

[1] _لسان الدين ابن خطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنّان، مكتبة، الخانجي، ج 1، القاهرة، 1937، ص 106 – 107.

[2] _ امين الريحاني ،نور الأندلس، ص 64.

[3] _ أحمد شحلان، مكوّنات المجتمع الأندلسي، للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999.

لكل ما فيه اضطراب وفساد في الهيئة الاجتماعية والسياسية والذين وما كان أولئك المولدون من الذين آمنوا ولا من الذين كفروا بل كانوا إمعات حطابين في كل واد، معفرين في كل كرمة وحصاد"[1]، وقد صنّفهم على أنهم سبب من أسباب ضعف العرب وهوانهم، خاصة وإذا كان هذا الموّلد من الطبقة الحاكمة "وشر المولدين على الأمة، موّلد في بيت الملك، فإن تقلّد الحكم كان ضعيف الهمة والرأي مراوغا متذبذبا ..."[2] وهذا ما حدث مع هشام ابن الحكم المستنصر بالله كانت أمة باسكية، فأدى قصره وضعفه إلى الطمع في خلافته.

– وبذكر هؤلاء الأجناس لا يمكننا أن نغض النظر عن فئة اليهود، التي كانت متواجدة في هذه الأرض التي مرّ عليها الكثير من الشعوب، وقد "تضمن الخطاب الرحلي مكوّنات المجتمع الأندلسي، الذي تميّز بالتنوع البشري فالأندلس كانت محطات لكثير من الشعوب، وقد يرجع ذلك لملائمة المناخ وتقارب الأفكار والمصالح لهذه الأجناس ..."[3] واليهود كغيرهم من هذه الاجناس، ويرجع وجودهم في أرض إسبانيا إلى القرن الرابع ميلادي، وقد كانوا مضطهدين من قبل النصارى الغوط كما أشرنا سابقا "وأولئك الغوط النصارى كانوا يتسلون بتعذيب اليهود، ويتقربون إلى الله بأموال يبتزونها من "شعب الله الخاص"[4] إلاّ أنّهم نعموا بالاستقرار والآمان والحرية في الظل الحكم الإسلامي "وقد تمتع اليهود في ظل هذه الحرية بالسماح لهم ببناء دور عبادتهم في أحيائهم الخاصة، وكذلك بين دور المسلمين"[5] وقد روى لنا الريحاني، كيف أنّهم أصبحوا يمشون أمام طارق بن زياد أدلاء أولياء وكيف أنصفهم.

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 81.

[2] _نفس المرجع ، ص 81.

[3] _ محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، المجلد 7 / عدد 2، كلية الآداب واللغات جامعة المدية ديسمبر 2020 ، ص 284.

[4] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 64.

[5] _عيسى ابي الأصبغ ابن سهيل، مقدمة تحقيق كتاب الفتوى تحقيق الدكتور ،محمد ابو الاجفان، رقم 7، ص 247.

المبحث الثاني: العناصر الحضارية في رحلة نور الأندلس

تميزت الحضارة الأندلسية بعدّة أوجه ومعالم، ميّزتها عن غيرها من الحضارات، فقد صنفت في الدرجات العليا من الرقي والازدهار والتطور والتنوع في كل المجالات الحياتية.

وقد حددنا في دراستنا هذه ثلاث مجالات لهذه الحضارة، والتي كان من شأنها أن ترفع من مستوى الحياة الاجتماعية الأندلسية إلى قمة رقيّها وزهوّها، وقد تمثلت هاته العناصر في الزراعة والصناعة والعمران.

المطلب الأول: الزراعة

لقد بلغت الحضارة في الأندلس أوّجها، وتعتبر الزراعة من أهم عوامل ازدهارها وذلك بتشجيع من الملوك والأمراء لعلمائهم ومفكريهم أصحاب التجارب الميدانية، ومن هنا انطلق الخلق والإبداع في هذا المجال.

وبما أن زراعة مرتبطة بالمجتمع، بل وهي إحدى أكمدته و "قد اهتم الرحالة الريحاني بالجانب الزراعي للمنطقة بصفته أساسي وفعّال في الحياة الاجتماعية كما تعتبر هذه المهنة من المقومات الأساسية للحياة البشرية إضافة إلى هذا ملائمة المناخ الذي يسمح بالزراعة أنواع الحبوب والأشجار ونجد عامل وعزة المياه الذي عمل على ازدهار الزراعة واليد العاملة التي استفادت من هذه الثروات، وعملت على تسخيرها لفائدتها وهذا ما أدى إلى إنشاء الجنان بالقصور كقصور قشتالة"[1] فيقول الريحاني "ثم محطة صيد لملوك قشتالة، فشيدت فيها القصور وغرست الحدائق بكل نادر من الشجر وهي لا تزال مشهورة بحديقتها الغناء وبطيورها الفريدة خصوصا القبّرة"[2]، ويرجع هذا التنوع والتفرد إلى الغوص في هذا المجال ودراسته دراسة عميقة "حيث كان علماء الفلاحة في الأندلس في قمة تطويرهم للعلوم

[1] _ محمد سرير،(تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس الأمين الريحاني انموذجا)، مدونة ، المجلد 7 / عدد 2، كلية الأداب واللغات جامعة، المدية، ديسمبر، 2020، ص 285.

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 72

الفلاحية حيث جابوا أقطار الدنيا في البحث عن النبتات الطبية – الواردة في الكتب الأندلسية – والأزهار الجيدة وقد تفننوا في رسم وبناء الحدائق التي اشتهر بها أهل الأندلس ... الذين أقاموا القرى الفلاحية والمنيات والجنات والبساتين، أماّ البستنة والحدائق العامة بالمدن والقصور فهي آية من آيات تطور الفلاحة والعلوم الخاصة بالزهور ..."[1] .

ويمكننا أن نذكر بعض أشهر العلماء الذين ألّفوا في هذا المجال وعلى رأسهم "الحاج أبو عبد الله إبراهيم المعروفة بابن بضال "الطليطلي" وقد اشتهر بمؤلفه الشهير "كتاب الفلاحة" وكتاب مجموع الفلاحة" لابن وافد، و"كتاب المقنع في الفلاحة" لأبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي ..."[2] وغيرها من المؤلفات التي تدل على مرحلة من ثورة خضراء كبيرة ذات تقنيات زراعية عالية.

ومن البستة والحدائق يحيلنا – الريحاني – إلى جانب مهم كان له الفضل في تطوير واستمرارية الزراعة، وهو الماء فأرض اسبانيا غنية بالموارد المائية "إنّ الوادي الكبير هذا أكبر نهر في اسبانيا بعد نهر أبرة، فهو ينبع في جبال قزورلا "kazarl" ويجتمع إليه أنهر عدة صغيرة، تجري من سفوح جبال مورنيه، أعاليه صاخبة هائجة، ولكنه يصل إلى قرطبة هادئا، ويجري في البسائط متسعا مرتاحا فيصلح للملاحة منها ...على خليج قادش فالبحر الأطلنطيق"[3]،وبفضل توفر هذه الأنهار أدخلت إلى الأندلس نظم وأساليب الرّي الشامية "إنّ النواعير في الأندلس بنوعيها ما يعمل فيها بفعل قوّة الماء، وما تستعمل الدواب في السقي هي من آصل شامي ..."[4]، وقد أدّى هذا النظام الجديد في الرّي إلى توفير مزيد من الماء

[1] _كمال السيّد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، القراءة مركز الاسكندرية للكتاب ،قراءة من المصدر ،ص 172.

[2] _د. محمد الأمين بلغيث، (الفلاحة بالأندلس في عصر المرابطين)، موسوعة معين للمعرفة، 2021/06/19.

[3] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 12

[4] _ابن بصال، كتاب الفلاحة، ترجمة، محمد عزيمان، تيطوان، المغرب، معهد مولاي حسن، 1955.ص96

لسقي مساحات أوسع، فازدادت بذلك غلاة الأرض وازدادت مدا خيل المزارعين وبذلك تتحقق الرفاهية وتصبح أرض أكثر إنباتا.

ويصف لنا الريحاني خلال رحلته، جمال مكان بين اشبيلية وقرطبة يقول "إنّ أجمل بقعة في الأندلس هي التي بين قرطبة واشبيلية كناّ نرسل النظر في الآفاق البعيدة المشرقة، والأرض بيننا وبينها تتموّج ألوانا بما في حقولها ورباها من البقع المزروعة والمحصودة، البقع الحمراء والخضراء والذهبية والبنية، وهناك الأراضي التي تهبط وتعلوا برفق ورشاقة كأنها كالأراجيح، وقد غرست بالزيتون صفوفا كأنها العمد في الجامع الكبير ..."[1] فمن شدّة جمال الطبيعة الخلاب، كان لابد للريحاني أن يدخل حسّه الفني في وصف هذا الجمال.

وعليه فقد حازت الزراعة أولوية المجتمع الأندلسي، وقد أكدّت المصنفات التاريخية أنها وطيلة الوجود العربي الإسلامي كانت نشاطا رئيسيا لعدد كبير من أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: الصناعة

ازدهرت الصناعة في المدن وتكوّنت معها طوائف حرفية، عرفت باسم الأصناف وأرباب الصناع، وقد كانت الطبقة العامة في المجتمع الأندلسي هي التي تمثل هؤلاء الحرفيين والعمال والصنّاع ،وقد لعبوا دورا مهما كثيرا ما كان يتجلّى في الاحتفالات ومواسم الأعياد.

وقد ساعدت كثرة المناجم هذا المجال في البروز "وفي ذلك الجوار اليوم أكبر معادن النحاس في العالم، فمعادن النهر الأحمر شمالا " Riotinto" من ميناء حلفه "Heulva" شغلها قديما الفينقيون، واليوم شركة انجليزية ..."[2] ويضيف "وبالقرب من حلفه كذلك، مناجم ترشيش ... ترشيش الذهب فمنها كانت ثروة مدينة صور"[3] وتزخر المدن بالمرافئ، التي تفتح

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 15.

[2] _ نفس المرجع ، ص 16.

[3] _ نفس المرجع، ص 16

التجارة مع العوالم الخارجية يقول "ففي جوار شريش في شمالها الغربي ... التي يصب الوادي الكبير في برزخها المتصل بالبحر، "سان لوكارده باراميدا" فقد كان ميناؤها عامرا في الماضي، يجاري ميناء قادش ومنه سافر كولومبس سفرته الثالثة إلى امريكا"[1] ووفرة الموانئ العامرة دليل على حركية التجارة والصناعة في المنطقة.

ولم تقتصر الصناعة في المناجم والمرافئ فقط، بل تعدّتها إلى صناعات أخرى " هذا إضافة إلى صناعات أخرى كالنسيج والجلود، والروائح والأخشاب التي كانت تنحت لتزين بها الكنائس"[2] في وصف كاتدرائية اشبيلية: " أمّا الخشب المحفور على وفرة وأنواع فنة في هذه الكنيسة فهو دون الفنّ العربي الذي نشاهد في القصر أمثلة رائعة منه "[3] فوفرة المواد الخام النباتية – الخشب– والمعدنية ساعد في تطور الصناعة في الأندلس.

واشتهرت المنطقة بصناعة المنسوجات كالحرير بأنواعه المختلفة خاصة في غرناطة واشبيلية، وصناعة الأنسجة الصوفية، والسجاد والبسط والحصير في شرق الأندلس، وصناعة السكر والورق الجيّد (الكاغط) والصناعات الجلدية والزجاجية والخزفية والعاجية في مختلف مدن الأندلس،وقد مارس هذه الحرف والصنائع، عامة المجتمع الأندلسي بكل أجناسه ومنهم الصقالبة "وكثر الصقالبة في البلاد العربية ... ومنهم من كانوا أدباء وشعراء وأصحاب صناعات ... مارسوا التي كانت تلذ لهم ممارستها"[4] فنخلص الى ان اهل المدن زاولوا الصناعات المختلفة واهل القرى زاولوا الزراعة.

وبما أنّ الأرض الأندلسية كانت رقعة حرب خارجية وأهلية انتشرت صناعة الأدوات الحربية "كما نجد صناعة السلاح التي كان لها دور كبير في حروب اسبانيا، سواء على

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 16.

[2] _محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، ص 288.

[3] _امين الريحاني ،نور الأندلس ص 25

[4] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ،ص92.

مستواها الخارجي مع دول الجوار، أو في حربها الأهلية "[1] يقول الريحاني "وممّا لا ريب فيه أنّه كان أسعد زمان ... شيّدت فيها صروح للعمران، فتعددت أنواع النسيج وتجددت مصانع الحديد والسلاح"[2] وقد اشتهرت اليهود بصناعة السلاح وقتها.

وكدليل على وفرة الإنتاج وتنوعه ينقلها الريحاني إلى إعدادات المهرجان الشعبي والتي نجد مواده في الكنائس "في الكنائس ضجة في البيوت والمخازن ضجات، في الشمامسة ينظفون تماثيل القديسين والقدسيّات والكهان يخرجون الحلي من أسفاطها ... والنجارون للبيوت السدد والهوادج والنساء يملأن القمائم بماء الورد ... وبائعون السمك يجلبون القناطير ومعامل البيرة تضاعف إنتاجها"[3] فتعدد المواد وتنوعها خلق وظائف وأعمال متنوعة.

وهذا التنوع في الإنتاج والصناعات جعل البلاد ذات حركة دائمة وكثيرة المواسم والأعياد "فالكنائس مثل المقاهي والمسارح وبيوت الميسر كلها أبدا مفتوحة، تتمثل فيها الحركة الدائمة، والناس قائمون قاعدون يودعون ويستقبلون عيدا"[4] وهذا إن دلّ على شيء دلّ على حركية الصناعة والتجارة في البلاد.

المطلب الثالث: العمارة والمدن

وتنقسم العمارة في اسبانيا (بلاد الأندلس) إلى قسمين عمارة مدنية وعمارة دينية، إضافة إلى المدن وهيكلتها وطابعها.

1. **العمارة المدنية:** لقد اعتنى الريحاني في رحلته إلى اسبانيا بالوصف الجغرافي والعمراني، لكل مكان عاينه ووصل إليه تقريبا وأعطى بعض الملامح تلك المدن مرّ بها، نستعرض في هذه الدراسة بعضا منها:

[1] _ محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس، ص 288.

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ص64

[3] _ نفس المرجع، ص 17

[4] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 111 – 112.

أ. **اشبيلية:** لقد غاص الريحاني في أعماق جمال اشبيلية روحا ووجدانا وفنا أكثر منه رؤية ومشهدا فتجده يصفها وكأنها كائن حي متجسد في جسم أنثى صاخبة الجمال "هذه المرأة هي اشبيلية سيدّة الشقيفات، وبنت الكنيسة وربة الخصب والمتع ترقص فتسمع الدنيا صوت خشيباتها وتصلي فتردد صلواتها المدن والقرى فهي الأم وهي الإبنة وهي فتنة العاشقين، تصنع المشط الرفيع العريض التاج في شعرها وتهز رأسها غنجا ودلالا، تفتل خصرها إذا تسكت الخشيبة بيدها، فتنفتح طيات فستانها وتنشر منه الأماني والصدود ثم تضرب الأرض برجلها فتنصت إليها قلوب الرجال"[1] وفي هذا التعبير الفني المبهر نلاحظ إبداع الريحاني في وصفه للملموس بصيغة المعنوي فقد "جمع الرحالة بين صورتين مستخدما في ذلك مخيلته، حيث أسقط صفات الراقصة الاسبانية على جمال مدينة اشبيلية فزاوج بين المعنوي والمحسوس في بناء الصورة"[2] فالرحالة أديب قبل كل شيء ولا يمكن الأديب أن لا يستخدم مخيلته الأدبية والفنية في عرض أيّ مشهد.

واشبيلية هي مدينة الأندلس الضاحكة، ووجهها الساحر في جمال معالمها وتاريخها وآثارها وأجوائها المليئة بالدهشة والسرور، فهذه الجوهرة تبهرك بحدائقها وأحيائها وقصورها وكنائسها وساحاتها ومبانيها و مهرجاناتها التي تعج بالحياة والفرح.

فيخرج أهلها يرقصون ويغنون "هي اشبيلية تتأهب لمهرجانها الأكبر مهرجان الأسبوع المقدس، المهرجان المنقطع النظير في العالم المسيحي، بل في العالم أجمع ... يستمر أسبوعا كاملا ... تخرج الهوادج من الكنائس كل يوم من ذلك الأسبوع ... تسير بموكب فخم ضخم إلى الكاتدرائية ... هو موكب من الهوادج يحمل كل هودج حما عليه من التماثيل عشرة أو عشرين من الرجال ... هي مواكب مقدسة يمشي فيها قلب اشبيلية التقي

[1] _ نفس المرجع ،ص 18

[2] _ محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، ص 290.

الطروب ..."[1]، و أبرز معالم اشبيلية الكاتدرائية الكاثوليكية التي بنيت على أنقاض الجامع الكبير في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف الموحدي، بصومعتها الشهيرة "خيرالدا" والقصور الملكية، وبرج الذهب الذي بناه الموحدون .

ب.طليطلة: مدينة المعالم التاريخية، والمدينة التي تعايش فيها الديانات والثقافات الكبرى _ الإسلام والمسيحية واليهودية _ وعاشوا فيها أسعد أزمانهم منسجمين ومتمازجين "ومما لا ريب فيه أنه كان أسعد زمان من أزمنة هذه المدينة فازدهرت فيها الثقافة العربية العبرية، وشيد فيها صروح للعمران ... فازداد عمران طليطلة وبلغ سكنها مائي ألف نفس طليطلة السعيدة بنت قرطبة السعدي"[2] فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود جميعهم بايخاء وولاء وتكتل.

وإذا ما عدنا إلى الزمن الحاضر فإنّ الحضارة العربية الإسلامية ظاهرة تطالع الناظر إليها بأي اتجاه كان "وطليطلة اليوم هي المدنية الوحيدة التي لا يزال طابعها العربي سليما في شكله القديم لا جديد في بناء طليطلة ... بيوتها عالية واجمة، ذات أبواب ضخمة مصفحة بالحديد بخوخات تذكر بأبواب القلاع والقصور، وبحلقات دقاقات طريفة الأشكال وبنوافذ تفتح على الصحن لا على الجادة، وأكثر تلك الأزقة لا تأذن لغير الأرجل البشرية أن تطأ حجارتها وأرجل أشباح الماضي كذلك فيسود فيها على ازدحامها سكون رهيب هو الماضي يحييك صامتا وقد يهمس في قلبك باللسان العربي كحملة حنين وأسى من وراء خوخة .. أو من خلال الدقاقات ..."[3] ولعلّ هذا الحنين إلى الماضي هو العمق التاريخي الذي تحمله طليطلة، ونجد الفن العربي في أقواس المباني والرسوم والشعارات المحفورة على المداخل، وفي الصناعات الحرفية والأطعمة والحلوى التي كانت شائعة في بلاد الأندلس.

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 19 – 20.

[2] _أمين الريحاني ،نور الاندلس، ص 64.

[3] _نفس المرجع ، ص 66.

والمدينة لن تحمل روحك للماضي حنينا وحسب، بل تأخذك كذلك إلى عهدها العربي الأوّل "أسواق طليطلة وجاداتها إنها في ضيقها والتفافها واعوجاجها كالسراديب تضيع فيها ... تلك الجادات تنفكك روحا وجسما إلى عهد العرب في القرن الثالث للهجرة"[1] يؤكد الريحاني للمدينة عراقة عروبتها فلا شيء تغير فيها منذ عهدها العربي في بدايته "تلمس ذات الرحالة التي تحن إلى الماضي وتحن إلى عروبتها كما نراه ينفي عن المدينة التطور الذي مسّ باقي المدن ... فالرحالة يوظف النسق التاريخي ليلامس ذات المتلقي خاصة إذا كان عربي فقد وجه إليه الخطاب في تقديمه لرحلاته لتصبح الكتابة عبارة عن رسالة موجهة للآخر يترجم فيها الرحالة ما يجول في فكرة، راجيا أن يحقق ما أراد من خلال قارئه"[2] وكثيرا ما نلامس في خطابه الرحلي مساعي للدفع بنهضة عربية.

ومن أهم معالمها: قصر طليطلة "فالقصر قصور بحصون وأبراج في قلبه صحن بأروقة إغريقية الهندسة، وفي وسط الصحن تمثال لكارلوس الخامس ممتطيا حصانه"[3] وفي طليطلة "كاتدرائية غوطية، وأبرجا عربية، وصروحا متداعية وبيوتا تاريخية هي متاحف فنية وأثرية منها بيت الفنان المشهور الاسباني الإغريقي (ELGRECO)"[4] وغيرها.

وقد واصل الريحاني وصفه لكل المدن التي زارها "كقرطبة" و"برغوس" و"أندلوثيا" و و .... لكنني اكتفي بهذا القدر لننتقل إلى المباني.

فيأخذنا إلى قصر اشبيلية الذي يصفه بالفارس المغوار لكثرة تعرضه للهدم والتغيرات يقول "ومع ذلك لا يزال على الإجمال معروفا بطابعه الأول العربي خصوصا في روافد خشبه وسقوفها المحفور، الملوّن منها والممّوه بالذهب أما جدران ردهة السفراء ... فتكشف وحشها أشكالا من الأسلوب المدجن ... هي ذي عمد إيطاليا، تحمل أقواسا عربية نعفرية،

[1] _امين الريحاني ،نور الاندلس ، ص 66.

[2] _ محمد سرير، تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، ص 294.

[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 66.

[4] _نفس المرجع ، ص 66.

وهناك منطقة بالخط الكوفي يتخللها قطع الخط الغوطي ..."[1] والمثل هذا التدجين المنسجم تلاقيا مستحسنا للفنون العربية والغوطية وغيرها.

ويرجع بنا الريحاني إلى فن العمارة العربية الأصيلة – البادية – فيقول "هناك القصر أو الحصن ... تراهما اليوم في نجد أو إمارة من الإمارات ... فهي سور بأبراج، أو مربع بجدران عالية، وفيها أو في السور نوافذ صغيرة مرتفعة ... بيوت من لبن غوطية جافة الظاهر، وكجو البادية لا زهور لا ألوان فلجأ إلى الحصن والألوان ... يزين بها حائطا داخل بيته وبابا ونافذة"[2] وقد عاد الريحاني بمخيلته إلى البلاد العربية، خلال رحلته "ملوك العرب"، ورجع بالعمارة العربية إلى أصالتها قبل أن تدخل عليها الإضافات.

2. **العمارة الدينية:** يجدر بنا الذكر أن اسبانيا بلد مسيحي العهد، لذلك حضيت الكنائس في هذه الرحلة بحيز كبير من الوصف، إلاّ أن الطابع العربي الإسلامي دائما ما يتخلل هذا التعمير، فالمعالم التاريخية على الأغلب تندمج بفنون الحضارات المختلفة، وخير مثال على هذا الدمج الحضاري كاتدرائية اشبيلية "يقول لك الدليل وأنت سابح في لحج الجمال الهندسي الغوطي، بين العضادات الضخمة، تحت الأقواس الرفيعة، في نور مكرر بالزجاج الملّون، عليه الرسوم الدينية والتاريخية والخيالية، يقول لك ... إن طول هذه الكنيسة خمسمائة قدم وعرضها مئتان وخمسون قدم ... ويقول لصك في كاتدرائية خمسة وسبعون شباكا من الزجاج المزين بالرسوم إلى جنبها مجموعة من الكنائس الصغيرة، وكل كنيسة هي متحف لصور الزينة والتماثيل".[3] وتعد كاتدرائية اشبيلية ثاني أكبر كاتدرائية في أوروبا بعد كاتدرائية روما.

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 29.

[2] _ نفس المرجع ، ص 30.

[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 25.

هذه الكنيسة التي بنيت على إنقاذ الجمع الكبير الذي بناه السلطان أبي يوسف الموحدي، لم يبقى من أثره إلاّ تلك الصومعة أو المنارة أو المئذنة، "خيرالدا" والتي تمثل "عهدين وفنين، بناهما المعلم جابر في القرن 12م لسلطان أبي يعقوب وبنى البرج الأعلى للصومعة وهو من فن الـ "رسانس"، في الهندسة، وفي الفنيين مثال لما يسميه الإنسان بأسلوب المدجّن، أي الجامع بين الهندسيين الإسبانية والعربية"[1] وهذا الفن هو إيطالي حامل لنهضة جديدة وكان في أوّج الإقبال عليه يوم بنيت القبة فوق المئذنة.

ومن الكاتدرائية إلى دير "سيلوس" وهو دير صعب الوصول إليه في الماضي إلاّ بالمشقة، أما حاليا فيسير وسهل يقول الريحاني واصفا إياه "ومشينا في خطواته توا إلى بيت القصيد فيه، وهو صحن بأروقته الأربعة، المسقوفة كلها بالخشب المحفور الشبيه في ألوانه فقط بالروافد العربية الأندلسية، هذا الصحن بأروقته هو أجمل مثال في اسبانيا للفن الروماني، فالأروقة تقوم على عمد مزدوجة، بأقواس مستديرة وتيجان بتماثيل ... وبتلك التيجان يقوم المعرض الفني الذي أشرت عليه في عنوان هذا الفصل ... لأنّ التماثيل الصغيرة التي تزينها هي جامعة في أساليبها ومواضيعها كل الفنون ... فمن تلك النقوش ما هو روماني، وشرقي فارسي، وشرقي هندي، غوطي، عربي أندلسي والبيزنطي العربي، فمن الرموز... إلخ الأشكال إلى التوريق ... بدرجات من الإتقان"[2] ففي هذا المعرض التقت جميع الحضارات الشرقية والغربية، وجسّدت هذه الحضارات أنامل صغيرة في تماثيل صغيرة.

[1] _ نفس المرجع ، ص 27.

[2] _امين الريحاني ،نور الاندلس ، ص 93 – 94.

المبحث الثالث: مراحل الحكم السياسية في الاندلس

بعد ثمانية قرون أمضاها العرب حاكمين في إسبانيا أخرجوا منها ولم يعودوا إلى اليوم، تعاقب خلال هذه الفترة من الحكم سبعة عصور تاريخية، طغت عليها مظاهر سياسية ميزت كل فترة هذه العصور:

المطلب الأول: عصر القوة

1. مرحلة الفتح: (710 – 714م)

وتعتبر مرحلة الفتح العهد الأول للوجود العربي الإسلامي في الأندلس وقد كانت "بعد أم أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك الوالي موسى بن النصير بتجهيز حملة عسكرية ... واتجهوا نحو بحر سبتة واستطاعوا النجاح والحصول على الكثير من الغنائم مما جعل موسى يقوم بإرسال قوة أخرى على رأسها طارق بن زياد"[1] وبعد هذا قرّر موسى بن نصير أن يغزوا بجيشه بالرغم من تعزيز الخليفة له "وغلبت إرادة موسى خوف الخليفة فأرسل وليه طارق بن زياد يفتح الأندلس، وجاءته أخبار طارق تثير أشواقه إلى الفتوحات ... فصمّم على الغزو في دار العوة وشمر في الإعداد له فعبر المضيق بعد طارق سنتين بذلك الجيش من وجهاء العرب وعرفاء البربر ومعهم واحد من أصحاب النبي ... وكثيرون من أبناء الصحابة"[2] وقد نجح في تقدمه وأخذ يفتح المدن الواحدة تلو الأخرى يقول الريحاني "ومشى موسى في غير الطريق الذي سلكه طارق، ففتح اشبيليا ثم قرمونا، ثم ماردا، وزحف بعد ذلك شمالا إلى طليطة حيث كان وليه طارق بن زياد ... مشى وإياه، مشى خلفه في جيوشه إلى الشعر الأعلى فافتتحوا سرقسطة".[3]

---

[1]_نانسي العتوم، (جانفي 2022) مراحل فتح الأندلس، تم الإطلاع عليه بتاريخ(19 – 05-2022) مقال من موقع عربي https:ps://erabi.com

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 51.

[3]_أمين الريحاني ،نور الاندلس ، ص 51.

وتمكنوا من فتح الكثير من المدن في فترة وخيزة جدا "واستطاع الأمويين فتح الكثير من المدن خلال ثلاث سنوات ونصف، أخبر طارق بن زياد موسى بن النصير بالفتوحات ... فانضم إليه واشتركا في فتح كثير من المدن"[1] وتكلّلت هذه الفتوحات بالنصر والتوفيق نتيجة للعمل المشترك والمتكامل بين القائدين العظيمين يشير الريحاني إلى أن "المؤرخين متفقين في أن موسى وطارقا اشتركا في غزو بلاد الشمال فكان طارق ورجاله في المقدمة، فيجيء موسى ليكمل عمل مولاه ومثبتا ما عاهد الأهالي عليه، مشوا في البلاد فاتحين ظافرين غانمين الغنائم ..."[2] وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها كلا من القائدين "أرسل الخليفة الوليد بن عبد الملك بطلب القائدين بالرجوع إلى عاصمة الخلافة الأموية"[3] ولكن موسى لم يكن يرغب في العودة وتطلعاته كانت أكبر وكان يحلم بالأرض الكبيرة _أوروبا _ وبعد إلحاح الخليفة عليه استجاب لأمر الخليفة وعيّن ابنه وليا على الأندلس "فعاد موسى من "جليقيا" واستخلف ابنه عبد العزيز على إمارة الأندلس ... وركب البحر بعد ذلك ومعه طارق بن زياد، وأحمال من الغنائم والأموال والجواهر"[4] وبهذا تكون قد انتهت مرحلة الفتح، لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الولاية أو الولادة كما سموها بعض المؤرخين، وأصبحت الأندلس ولاية أموية.

2. مرحلة الولاية والإمارة (714 – 755) _(756 – 929م):

بعد انتهاء عهد الفتح بدا عهد جديد في تاريخ الأندلس يسمى عهد الولاة، وعهد الولاة يعني أنّ حكم الأندلس يتولاه رجل تابع للخليفة الأموي الموجود في دمشق "وإذا نظرنا إلى عصر الولاة نرى أنه قد تعاقب فيه على حكم الأندلس اثنان وعشرون واليا أو عشرون

[1] _نانسي العتوم، (جانفي 2022) مراحل فتح الأندلس، تم الاطلاع عليه بتاريخ(19 – 05 – 2022)، مقال من موقع عربي، : https erabi.com

[2] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 52.

[3] _نانسي العتوم، مراحل فتح الأندلس.

[4] _أمين الريحاني، نرو الأندلس، ص 52.

واليا تولى اثنان منهم مرتين"[1] وقد كان أوّل والي بالأندلس "عبد الله بن موسى بن نصير" والذي غدر به من قبل الخليفة "ولد أمر عامله بإفريقية بأخذ عبد الله بن موسى وتعذيبه واستئصال أموال بني موسى فسجنه الأمير وعذبه وأمر بقتله"[2]، ومن ثم استمر هذا العهد لإحدى وأربعين سنة "واتسم عهد الولاة بحسب طريقة الإدارة وطريقة الحكم إلى فترتين مختلفتين تماما حيث كانت الفترة الأولى فترة ضعف ومؤامرات ومكائد واستمرت من 741م إلى 755م"[3] وسأحاول ذكر مميزات كل فترة:

- **عهد القوة:** وأهم ما تميزت به هذه الفترة هو: نشر الإسلام في بلاد الأندلس "بعد أن تمكن المسلمون من توطيد أركان الدولة الإسلامية ... بدؤا يعلمون الناس الإسلام ... فوجد الإسبان ما لم يستطيعوا أن يتخلفوا عن الارتباط به والانتساب إليه وبعد فترة قليلة أصبح عموم أهل الأندلس السكان الأصليون يدينون بالإسلام"[4] وذلك يرجع للشريعة السمحاء فالإسلام لا يجبر أحدا على اعتناقه، وقد تميزت هذه الفترة بظهور جيل المولدين "منها في ذلك الزمان تزوج العرب بالمسيحيات وقد شاع شيوعا ذريعا ... فنشأ في البلاد صنف من الناس سمّوا بالمولدين ..."[5] وهم أبناء الدين أسلموا من السكان الأصليين وهم ومما ميز هذه الفترة أيضا إلغاء الطبقية التي كانت سائدة في مدن إسبانيا جراء النظام الإقطاعي، ونشر الحرية العقائدية "مما لا ريب فيه أنه كان أسعد زمان من أزمنة المدينة، فازدهرت فيها الثقافة العربية والعبرية، وشيد فيها صروح للعمران ..."[6] وازدهرت العلوم والصناعات والأبنية العمرانية كما أشرنا سابقا. هذا الذي دفع بالكثير من

---

[1]_لحميدي،(2011/02/27) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 3، من 1 – 8، ينظر من مقال عصر الولاة في الأندلس لراغب السرحاني ،تم الاطلاع عليه بـ(2022/05/18)،موقع قصة اسلام htpps.//www.islamstory.com

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 53.

[3] _د. راغب السرحاني، عصر الولاة في الأندلس، التاريخ الإسلامي، قصة الإسلام بـ 27 /2011/02.

[4]_ د. راغب السرحاني، عصر الولاة في الأندلس، التاريخ الإسلامي، قصة الإسلام بـ 27 /2011/02.

[5]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 81.

[6]_نفس المرجع ، ص64

الأسبان لتقليد المسلمين "ونشأ جيل يتكلمون باللسان العربي ويكتب النابغون منهم الكتب ..."[1] فتعلموا اللغة العربية وكانوا يفتخرون بتعليمها،إضافة إلى اتخاذهم قرطبة عاصمة للمسلمين "كذلك كان من السمات المميزة لهذه الفترة أن اتخذ المسلمين "قرطبة" عاصمة لهم"[2] وذلك لأنها كانت في الجنوب بعيدة عن فرنسا أي: آمنة أكثر من مدينة طليطلة.

- **عهد الضعف:** (741 – 751) واستمر خمسة عشر سنة تميزت بضعف وانحطاط للمستوى الإيماني والمستوى الحضاري في بلاد الأندلس "ففي العهد الثاني للولاة حصلت الثورات والمكائد والتي بدأت بوفاة عبد الرحمان الأوسط وسبب ضعف الولاة كان أولا في انفتاح الدنيا وكثرة الغنائم وثانيا: القبلية والقومية – والتي أشار إليها الريحاني في أسباب سقوط العرب – وثالثا ظلم الولاة ..."[3] هذا وإضافة إلى كثرة الثورات والاستقلالات التي أضعفت الإمارة وقد تميزت مرحلة الإمارة بانفصال الأندلس عن الدولة العباسية وكان الحاكم الأوّل في الإمارة الأموية هو عبد الرحمان الداخل الملقب بصقر قريش "عبد الرحمان بن معاوية الأموي الملقب بالداخل، أسس الدولة الأموية في الأندلس سنة 138 هـ / 755 م وجعل عاصمتها قرطبة وقد دامت تلك الدولة حتى سنة 422 هـ / 1031 م ثم تفككت فأمست دويلات عدّة في عهد ملوك الطوائف ..."[4] وامتازت هذه الفترة بالازدهار والتطور والاستقرار وتعلب الداخل على 25 ثورة .

3. مرحلة الخلافة: (929 – 1031 م):

كان آخر الأمراء في عهد الإمارة هو عبد الله ابن محمد، والذي استخلف بعده حفيده عبد الرحمان الناصر، والذي أشاد الريحاني بحسن تدبيره وحكمه يقول "قبل ذلك كانت

---

[1] _نفس المرجع ، ص 64

[2] _راغب السرحاني، "الأندلس من الفتح إلى السقوط – الفترة الثانية في الدولة الأموية في الأندلس وسبب ضعفها"، موقع طريق الإسلام بتاريخ 18 / 2022/01.

[3] _راغب السرحاني، "الأندلس من الفتح إلى السقوط – الفترة الثانية في الدولة الأموية في الأندلس وسبب ضعفها"، موقع طريق الإسلام بتاريخ 18 / 2022/01.

[4] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 79.

تنعم بحكم فريد في القوة والعدل وحسن التدبير هو حكم ذلك الأموي العظيم عبد الرحمان الثالث الملقب بالناصر، ودام خمسين سنة كانت الأندلس فيها مطلعا لأنوار العلم والمدينة والعمران، وكان الخليفة الناصر في مقدمة عواهل زمانه عظمة واقتدارا فهو جدير إذن بكل ما صاغه له مؤرخو العرب وشعرائهم من المديح ..."[1].

فبالرغم ما كانت تعانيه الأندلس آنذاك من الاضطرابات والتوترات إلاّ أنه استطاع بذكائه وشجاعته وعدله أن يغيّر أحوال الأندلس من الضعف إلى القوة، فقمع الثورات ووحدا الأندلس وبذلك تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الخلافة الأموية، وقد تولى الخلافة بعده إبنه المستنصر بالله والذي لم تظل فترة ولايته بسبب مرضه، ولكنّه أتم ما بدأه أباه يقول الريحاني "وقد دام ازدهار الملك ورونق الحضارة في عهد ابنه الحكم الثاني الذي اقتفى أثر والده، وكان إلى ذلك محبا للعلم والعلماء مشجعا على الأعمال الثقافية والعمرانية"[2] ومن أهم ما ميز هذه الفترة "دخل المسلمون في الأندلس في عهد جديد قائم على أسس سياسية بعيدة عن العنصرية والقبلية من واقع تحجيم نفوذ زعماء القبائل وإحلال سلطة الدولة، ممثلة في الأمير محل سلطة القبائل وبدأت الأندلس تسير في طريق اكتساب الحضارة"[3] إلاّ أن ما عيب على الحكم هو زواجه بأعجمية من آل باسك "ولكنه أساء إلى الإرث الأموي الملكي فيها أدخل عليه من دم أعجمي، فقد تزوج الحكم بامرأة من شعب آل باسك اسباني الديار اسمها أورورا" ...ولدت ابنا كان وحيد أبيه هو هشام ..."[4] والذي عيب عليه هو تسليم الخلافة لابنه القاصر "إلاّ أن الحكم المستنصر بالله أخطأ حين اختار ابنه الوحيد الطفل هشام المؤيد بالله لولاية عهده، حيث استغل بعض رجال الدولة ... وصاحب الحجابة محمد بن أبي عامر صغر سنة وعدم قدرته على الحكم ... ففرضوا على الخلافة وصاية أم الخليفة صبح

[1]_ مين الريحاني، نور الأندلس، ص 81.

[2] _نفس المرجع ، ص 81.

[3]_ محمد سهيل فطوش: "تاريخ المسلمين في الأندلس (91 – 891 هـ / 710 – 1492 م)، ط 3، دار النقاش بيروت، لبنان، سنة 1431 هـ – 2010م.

[4]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 81 – 82.

الباسكية واستأثروا هم بكل السلطات"[1] أمّا الحاجب بن عامر فقد استأثر بالحكم له "أماّ في خلافة ابن هشام فقد صار الحاجب الحاكم بأمره بل الطامع بالعرش"[2] وقد كسر الريحاني الصورة العظيمة للمنصور التي يراد بها المؤرخين العرب، فهو يراه مخربا الأراضي والعمران كما أنه في غزواته ست والخمسون الموفقة جعلت النصارى يسعون للاتحاد "نبهت ملوك النصارى إلى وجوب الاتحاد لمقاومتها وتجديد الرحلات على العرب"[3] وبهذا يكون الحاجب بن عامر قد أسس دولة داخل دولة، وسيطر العامريون على الحكم، مما آثار حنق الأمويين في الأندلس وعلى إثر ذلك "استطاع محمد بن هشام أن يدير انقلابا على حكم المؤيد و شنجول، ويطيح بهما، ... ويعلن نفسه الخليفة الجديد"[4] فبايعه المسلمين "ولقبوه بالمهدي بالله ... وفرّ سليمان ... فاجتمع بالبربر خارج قرطبة فبايعوه على الخلافة ولقبوه بالمستعين"[5] وبعد هذلين الخليفتين لم يقم للأمويين بعدهم قائمة "لتدخل الأندلس فترة من القلاقل، تصارع فيها الأمويون والبربر والحموديون على حكم الأندلس ... واستمر الصراع حتى عام 422هـ، حيث سقطت الدولة الأموية في الأندلس نهائيا وتفتت إلى دويلات صغيرة، عرفت تاريخيا بدول الطوائف"[6] وفي عام 1031م انتهت الدولة العامرية وسقطت معها الخلافة الأموية.

[1]_محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج 1، ص 517.

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 82.

[3]_نفس المرجع، ص 84.

[4]_محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 632.

[5]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 85.

[6]_رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم، حسن حبشي ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414 هـ/ 1994م، ص 190.

المطلب الثاني: مرحلة الضعف

1. **مرحلة ملوك الطوائف** (1031 – 1086م).

وكان من نتائج سقوط الخلافة الأموية ظهور عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف، ويعتبر من أسوء المراحل على الإطلاق، حيث قسمت البلاد وأصبحت إمارات لكل إمارة ملك يقول الريحاني "وكان لهشام الثالث آخر الأمويين أربع سنوات من الصداع انتهت بدور التفكك الذي تبطّل فيه العرب والبربر، فاستقلوا بالأعمال، كل في ناحيته باديس في غرناطة، والغزني في روندة، والبرزالي في قرمونة...، وهلّم جرا، ثم تقمص الزعماء ملوكا بألقاب ضخمة ... فكان بنو عباد في اشبيلية، وبنو ذي نون في طليطلة وبنو هود في سرقسطة، وبنو أبي عامر في بلنسية، وبنو جهور في قرطبة، وهلّم جرا مرة أخرى"[1] أدت هذه التفرقة والاستفراد بالحكم إلى عدم الاستقرار والتناحر المستمر فيما بينهم ممّا جعلهم فريسة سهلة للنصارى "فرح ملوك النصارى بملوك الطوائف ولكنّهم كانوا مثلهم في تلك الحقبة من الزمن، مشتتي الكلمة، متخاذلين، متحاربين، فمرّت خمسين سنة وهذه الحال شاملة بضرباتها المسلمين والنصارى، إلاّ أنه تخللّها في تاريخ المسحيين إشاعات اليقظة والنشاط، فحملوا حملات موفقة على أعدائهم ... ووصل ألفونس السادس إلى طرف الجزيرة ... فقضى على السيادة العربية فيها وعوّل على مواصلة الجهاد ليخرج العرب جميعا من البلاد[2]" وبعد هذه الوقائع أدرك ملوك الطوائف الكارثة التي ستحل بهم وهي سقوط دولة الأندلس، فاجتمع أمرائهم وعلمائهم على طلب الاستغاثة من المرابطين "فكتب بعض ملوك الطوائف إلى بطل المغرب يومئذ يوسف بن تاشفين يستظهرونه على العدو ... فجاز يوسف بجيشه المضيق، وراح يطلب ألفونس ... وهناك التحم الجيشان في المعركة التي تدعى زلاقة سنة 1077، فهزم النصارى شر هزيمة[3]" فيها واضطر بعد ذلك ابن تاشفين أن يعود غلى

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 86.

[2] _أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 86.

[3] _ نفس المرجع ، ص 86.

إفريقية ... فعاودت الاضطرابات الأندلس بعد عودته، فكتب إليه العلماء يدعونه لحكم البلاد ..."[1]، وقد لبني يوسف الدعوة بعد أن استشار أهل الفتوى في بلاد الإسلام "وكان يوسف – على ما يظهر – قانونيا فاستفتى علماء في فتح الأندلس والاستيلاء عليها لإنقاذ المسلمين فيها من فساد ملوكهم ... فاستولى على تلك الدويلات كلها ونقل أصحابها إلى إفريقيا ..."[2] وبهذا انتهى عصر ملوك الطوائف الذي امتد لسبع وخمسين سنة.

2. مرحلة المرابطين (1086 – 1146م):

حرّر المرابطون دولة الأندلس من ملوك الطوائف بقيادة يوسف ابن تاشفين، ولم يلقوا صعوبة في ذلك يقول الريحاني "وما كان الفتح متعسرا، لأنّ العرب أنفسهم عاونوا الفاتح، بل استظهروا به الأعداء النصارى كما تقدم ..."[3] وقد ترك يوسف أثرا كبيرا عند الأندلسيين خصوصا في موقفه الداعي إلى استمرار السيادة الإسلامية والمحافظة عليها وتفادي سقوطها في يد النصارى.

أماّ سياستهم "النظام الإداري الذي اعتمده المرابطين هو إمارة المسلمين الذي يعتمد على اختيار الأمير وفق فقه الشورى، وكان أمير المسلمين هو القائد الأعلى[4]" ويقوم القائد بتعيين ولاة على المدن يشترط فيهم الكفاءة والمقدرة "وأحيانا ينوبون عن أمير المسلمين في الجوانب السياسية أكثر من الجوانب الإدارية، كما ينبغي أن تتوافر فيهم حسن الإدارة في الدولة طبقا للتعاليم الإسلامية، مع الكفاءة الحربية العالية ..."[5] ولقد كان المرابطون أشداء في الدين، ممّا جعل طائفة أخرى من المسلمين في المغرب تقوم عليهم "وأماّ عمليا فقد كان المرابطون من غلاة الدين، بل التديّن، فعدوا تأهل الأمويين من المفاسد التي جاءوا

---

[1]_ نفس المرجع ، ص 86.

[2]_نفس المرجع، ص 86.

[3]_ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 87.

[4]_حسين إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، عام 1939م، ص 224.

[5]_إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء، المغرب، عام 1962، ص 46.

يصلحونا، ولو لم عليهم أصحاب دعوة أخرى من المسلمين لتألب عليهم ملوك النصارى من شدّة علوّهم الديني ولكن حكمهم في الأندلس لم يدم غير ست وخمسين سنة ففي أواسط القرن الثاني عشر قام الموحدون يتهمون المرابطين بما كان المرابطون يتهمون به ملوك الطوائف"[1] وبهذا تكون نهاية دولة المرابطين في الأندلس وقيام دولة الموحدين بعدها.

3. مرحلة الموحدين (1146 – 1244م)

انتهت فترة المرابطين وظهرت بعدها دولة الموحدين وهم أتباع محمد بن تومرت الذين سيطروا على أراضي المرابطين وأصبحت الأندلس تحت حكمهم، فمن هم الموحدون؟ يقول الريحاني في مدونته أنّ "هم التابعون لاثنين من كبار المغاربة العرب ... أحد هؤلاء الاثنين هو محمد بن تومرت السوسي "من قبيلة مصمودة وقد اشتهرت منذ صباه بالتقوى والتعبد، ثم ادعى أنه شريف علوي ولقب نفسه بالمهدي ... والآخر هو "عبد المؤمن بن علي الفخاري" الذي هام على وجهه منذ صباه طالبا للعلم، فاجتمع بابن تومرت فتآلفوا تآخيا ... ثم اشتركا في الدعوة"[2] وقد انتصروا على المرابطين في المغرب والأندلس، وبعد وفات بن تومرت واصل عبد المؤمن كفاحه في إفريقيا حتى أقام دولته هناك ثم اتجه إلى الأندلس ووطد نفوذه فيها، لكنه توفي عام 1163 م ليتولى ابنه يوسف بن عبد المؤمن الخلافة هناك، والذي اشتهر بناء جامع اشبيلية الأعظم ثم أتم ابنه المنصور المنارة الكبيرة التي لا تزال قائمة وتعرف باسم خيرالدا "بناها المعلم جابر في القرن 12 للسلطان أبي يعقوب يوسف الموحدي"[3] وقد لاقت دولة الموحدين عدّة صعوبات وأزمات منذ نشأتها ككثرة الثورات وسياستها المنتهجة ضد السكان والتي تميزت بالشدة وكانت بداية السقوط في عهد الناصر لدين الله الذي حدثت في عهده هزيمة المسلمين المنكرة في موقعه عقاب، ثم تولى من بعده

[1]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 87.

[2]_ نفس المرجع ، ص 87.

[3]_ نفس المرجع، ص 26.

ابنه المستنصر بالله فكان عهده عهد سقوط الأندلس"[1] فلم يدم هذا العهد إلاّ مائة سنة "ومع ذلك فقد كانت دولة الموحدين على قصر عهدها من أعظم الدول الإسلامية، فعادت الحضارة في الأندلس إلى الازدهار بعد أن كادت تضمحل في عهد ملوك الطوائف وفي آخر عهد المرابطين"[2] وبهذا تكون قد انتهت دولة الموحدين بعد أن خسروا أمام النصارى قرطبة واشبيلية وملحقاتها لتظهر بعدها دولة جديدة ومرحلة جديدة.

4. مرحلة الأحمر: (1237 – 1492 م) "النصريون".

ضعفت دولة الموحدين في الأندلس وازدادت الاضطرابات والخلافات وبدأ الأسبان يسيطرون على المدن الواحدة تلو الأخرى حيث بقيت مدينة غرناطة فقط تحت حكم المسلمين، ولكن توقف المسيحيون كما يقول الريحاني "ولأمر ما توقفت بعد ذلك حركات ملوك النصارى سكنت قشتالة، تقاعدت آرغون، نامت ليون، ومرّ عليها كلها في هذه الحال 250 سنة، وما نامت أمة العرب ولا تقاعدت ولا سكنت ريحها ... فقد قامت بعد دولة الموحدين دولة جديدة، أخت الدولة الأموية في العظمة والمجد والحضارة والعمران هي الدولة العربية الثالثة في الأندلس دولة غرناطة لبني نصر تلك الدولة التي أسسها محمد بن يوسف بن الأحمر، ودامت عزيزة عامرة مئاتين وخمسين سنة"[3] وهم آخر من حكم الأندلس حيث "عقد محمد بن يوسف بن الأحمر معاهدة مع ملك قشتالة فرناندوا الثالث وقدم له فيها بعض التنازلات التي تدل على ضعف المسلمين في تلك الحقبة ... وقد استعان محمد بن يوسف الأحمر بيعقوب المنصور المريني الذي استطاع هزيمة النصارى ... ثم حصلت بعد ذلك خلافات ونزاعات وأطماع أدّت إلى سقوط غرناطة واحتلالها"[4] وسلمت بعدها مفاتيح غرناطة من قبل أبو عبد الله محمد الصغير، فدخل الملكين فرناندو الثالث وإيزابيلا غرناطة وعلّقا

[1]_راغب السرجاني، الأندلس من الفتح إلى السقوط، المكتبة الشاملة الحديثة مؤسسة اقرأ، ط 1، سنة 2011م، ص 11.

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 88.

[3]_ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 90.

[4]_ينظر راغب السرجاني، سقوط الأندلس، من حكم الأندلس.

صليبا فضيا كبيرا فوق برج قصر الحمراء، وأعلنوا أنّ غرناطة أصبحت ملكا لملكي الكاثولكيين، وأنّ حكم المسلمين قد انتهى من بلاد الأندلس"[1] وبهذا انتهى الحكم الإسلامي في أرض اسبانيا سنة 1492م.

المبحث الرابع : المرأة والحكم وأسباب سقوط العرب

المطلب الأول : أسباب سقوط العرب

سقط الحكم العربي الإسلامي، وانتهى حلمه في أوروبا بعد سقوط الأندلس، وذلك بعد ثمانية قرون من تحققه، ويرجع هذا السقوط إلى أسباب كثيرة حددّ لنا الريحاني في مدونته أغلبها فالأمم تسقط لعدّة أسباب وليس لسبب واحد فقط.

فمن أوّل الأسباب التي أشار إليها الريحاني هي تلك العصبية القبلية والطائفية التي كانت في العرب حيث يقول "ومن آفات أولئك العرب الحزبيات الإقليمية اليمنية والقيسية والدولية والأموية والعباسية والمذهبية الإفريقية الشعبية الأندلسية السنية"[2] وهذه هي أكبر عوامل التفرقة التي أزاحها الإسلام وخالفها المسلمون نتيجة لقلة إيمانهم والسماح للنزاعات العرقية في التغلب على الوحدة الدينية وهذا الذي يذهب إليه الدكتور عبد الحليم عوسي في كتبه أربعون سببا من أسباب سقوط الأندلس حيث يقول أنّ "من أسباب سقوط الأندلس غلبة العوامل العنصرية من قبلية وقومية على وشيحة الإسلام حيث يلاحظ الصراع بين العرب البربر وبين العدنانيين والقحطانيين وبين العرب المولدين، وضعف العقيدة الإسلامية في النفوس والضمائر وتطويعها لخدمة القومية العنصرية"[3] إضافة إلى أنّ الجهاد أصبح في سبيل الدنيا لا في سبيل الله "كانوا متقلبين في نزاعاتهم السياسية، وأشدّ رغبة بالغنائم منهم بالغنيم الدائم، بل كان في العرب أنفسهم كثيرون من هؤلاء المجاهدين في سبيل الدنيا

[1]_راغب السرحاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرأ، ط 1، الفصل 8، سقوط غرناطة.

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 79.

[3]_عبد الحليم عوسي، أربعون سبب من أسباب سقوط الأندلس، ط 1، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة عام 1994م، ص 09.

وحطامها"[1] ويعد هذا سببا مباشرا في السقوط "وكما كان التكالب على الغنيمة السبب المباشر في أول هزيمة للمسلمين في تاريخهم في غزوة أحد كذلك لم تكن لحروبهم أية ثمرة باقية، بل انتهت نتائجها بانتهاء عهودهم"[2] يقول الريحاني عن بن عامر "هذا الغازي العظيم لم يترك أثرا من آثار العمران والرقي في الأراضي التي غزاها ... لا يا سيدي ليس في كل بلاد الأندلس العربية أثر واحد من آثار المنصور الحميدة"[3] فالمجد لم يخلد لأنه دنيوي، ويضيف الريحاني أنّ "من آفات العرب والبربر على حد سواء أنهم يؤثرون الأشخاص في الأحكام على الوطنية والقوة القاهرة على الحق المشروع ... فلا يحسبون للمستقبل ولا لنتائج الأمور حسابا"[4] وهذا أدى إلى "فساد النظام السياسي وقيامه على الحكم المطلق البعيد عن الشورى وعد العدل مما أصاب الأمة بالظلم وعدم الولاء وهما .... خراب الممالك ..."[5] وقد ربطوا الدين بشخصيات تحافظ عليه "ومن آفات الحكم العربي الإسلامي القديم أنه كان مبنيا على أوضاع دينية ... وشخصيات تنفذها وتحافظ عليها ..."[6] ومن الأسباب أيضا النساء فقد "تدخل بعضهن في شؤون الحكم فنشرن البغضاء والصراعات من وراء الكواليس"[7] إضافة إلى .... التسري "وهناك أسباب أخرى لضعف العرب وفساد أمرهم، منها التسري، وما يخلفه في الحريم وفي الأمة، وفي الملك من اضطرابات وفتن، ومنها في ذلك الزمان تزوج المسلمين بالمسيحيات وقد شاع شيوعا ذريعا ..."[8] وخاصة منهن النساء المسيحيات المتزوجات من أبناء الأسر الحاكمة وقد قدمنا قصة صبح الباسكية سابقا.

[1]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 79.

[2]_عبد الحليم عوسي، أربعون سبب من أسباب سقوط الأندلس، ص 17.

[3]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 83.

[4]_ أمين الريحاني، نور الأندلس ص 80.

[5]_عبد الحليم عويس، أربعون سبب من أسباب سقوط الأندلس، ص 11.

[6]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 80.

[7]_عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص 12.

[8]_أمين الريحاني، نور الاندلس، ص 81.

ومن الأسباب الموّلدين "وشر الموّلدين على الأمة موّلد في بيت الملك فإن تقلّد الحكم كان ضعيف الهمة وللرأي مراوغا متذبذبا ... وقد تمثل الخلافة الأموية الأندلسية تثمل هذا الرجل ... فكان ذلك من الأسباب التي عجلت بالطور الأخير من تاريخها ..."[1] وكان هذا الرجل الخليفة هشام بن الحكم والذي كان قاصرا وضعيف الهمة وقد كانت ولايته من أبرز أسباب سقوط بني أمية في الأندلس وهذا راجع لنظام الحكم "كان لنظام ولاية العهد الوراثي حتى مع عدم الجدارة أثره الخبيث في سقوط الأندلس"[2] سيطر العامريون على الحكم ونشأت صراعات ونزاعات أدّت إلى سقوط الخلافة الأموية، وظهور ملوك الطوائف الذين يعتبرون من الأسباب المباشرة في السقوط بسبب تناحرهم حتى وصل بهم الأمر لدفع الضرائب للملك الاسباني ألفونسو، وكانوا يستعيون بالنصارى على بعضهم البعض "وقام الطوائف ... باالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض ... وقدموا الجزية للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ..."[3] وقد كثرت المعارك في هذا العصر لأسباب عنصرية ولأجل نزوات الحكم فكان هناك استهانة بدماء المسلمين إضافة إلى الثورات التي لم تنتهي.

إضافة إلى حياة الرخاء والنعيم والمرح والاسترسال في اللهو وشتى صور النساء "إنها فوضى أخلاقية وخيانة للقيم الإسلامية فكيف لا يكون السقوط نتيجة طبيعية"[4] إضافة إلى العديد منها، والتي أثمرت ثمارها الخبيثة المرّة وبذلك تداعت الأندلس وسقطت حضارتها.

ويشير الريحاني إلى سبب آخر من أسباب السقوط، بصورة تخيلية تعكس الواقع العربي في تلك الفترة _ فترة الرحلة_ فينقلنا إلى تلك الرؤيا الجلية مع الفيلسوف _ ابن راشد_ والذي يؤكد أنّ الابتعاد عن العلم وتفضيل الملك عليه، وإهمال بعضه ومزجه بالخرافة والجهل أوهى بالحكم العربي في الأندلس، وقد بدأ السؤال للفيلسوف ابن رشد "ولكن ياسيدي لم يزل

[1]_نفس المرجع، ص 81.

[2]_عبد الحليم عويس، أربعون سبب من أسباب سقوط الأندلس، ص 15.

[3]_أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس، حققه إحسان عباس، ج 4، دار صادر، بيروت، سنة 1968، ص 447.

[4]_عبد الحليم عويس، مرجع سبق ذكره، ص 22.

زيتك يشتعل في مصابيحهم،–نعم في مصابيح الفرنجة لا العرب، والسبب في ذلك أن قد امتزج بزيتنا كثير من الماء ولم يحسن العرب تصفيته مثل الفرنجة، أجل قد خالط علومنا كثير من الخرافات والتقاليد والأوهام ... الخلفاء في الأندلس ... أثروا الملك على العلم .. كان أكثر العلماء والشعراء يأتمرون بأمرهم ... فجاء علمهم ناقصا، بل مزيجا من العلم والخرافة والخيال"[1] فالابتعاد عن العلوم أو مزجها بالجهل كان سببا لسقوط الأمم السابقة، لذلك كان على العرب إعادة بعث هذه العلوم وإحيائها كما أحيوها من قبل، فقد كان الريحاني في نص رحلته يدعوا إلى نهضة العرب، حيث أنّ أغلب الدول العربية كانت رهينة الاستعمار والضعف والخنوع.

المطلب الثاني: الحضور السياسي للمرأة

إذا ما عدنا إلى الماضي فإن المرأة الأندلسية كان لها دور مهم في بناء المجتمع، وكانت تتمتع بمكانة رفيعة سامية، وكان أولى اهتمامها تربية الأبناء ونشأتهم نشأة سليمة، وكذلك بلغت حظا وافرا من التعليم، ونبغ عدد كبير منهم في العلوم والآداب والفنون «سمح المجتمع الأندلسي للمرأة أن تمارس عددا من الأنشطة الاجتماعية والدينية، وأعطاها حرية كبيرة مما جعلها مختلفة عن مثيلاتها في الشرق»،[2]هذا الاختلاف تمكن بفضله من الوصول إلى الحكم والخوض في الأنشطة السياسية، ولكن وبالرغم من هذه المكانة جاء ذكرها في الرحلة ضئيلا «ونجد المرأة الأندلسية أو الإسبانية، لها مميزات خاصة لكننا إذا تفحصناها في رحلة الريحاني لألفنيانها تتسم بالقلة، ولا ندري عدم اسهابه في وصفها، بل نجده اهتم بوصف المدن والحالة السياسية والتاريخية للبلاد إضافة إلى بعض العقائد والأعراف الإجتماعية»[3]، ومن هذه القلة، خاص بنا الريحاني في أعماق التاريخ، وعدد لنا

---

[1]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 119.

[2] _ سلسبيل صيام،(12/09/2018)، كيف كان دور المرأة الأندلسية في المجتمع المسلم، تم الإطلاع عليه في (18/05/2022) موقع الجزيرة نتblogs, https://www.aljazeera.net

[1]- محمد سرير، تمثلات الخطاب الإجتماعي في رحلة نور الأندلس لأمني الريحاني. ص 294.

من الشخصيات النائية التي لعبت دورا في السياسة إمرأتين "صبح الباكية"، و" زوجة السند"، هاتان المرأتان اللتان تمكنتا من الوصول إلى الحكم، ومن الخوض في المؤامرات والصراعات والمعارضات.

1. صبح "أورورا:"

وقد أشار الريحاني إلى أن شخصية" صبح" أو "أرورا" كانت لها فعالية سلبية في الحكم العربي الأندلسي، وقد ربط وصول هؤلاء النسوة إلى الحكم ومشاركتهن في الحياة السياسية بأسباب سقوط العرب، ذلك أن أغلبهن كن أعجميات. يقول الريحاني «وهناك أسباب أخرى لضعف العرب وفساد أمرهم منها السري وما يخلفه في الحريم وفي الأمة، وفي الملك، من مشاكل واضطرابات وفتن ومنها في ذلك الزمان تزوج المسلمين بالمسيحيات وقد شاع شيوعا ذريعا» [1]ومن هذا ندرك أن هذا الزواج المختلط أثر حتى في العامة، ولكن تأثيره في الملك كان أقوى وأشد. وقد وصف الريحاني زواج الحكم الثاني بصبح بالإساءة «لكنه أساء إلى الإرث الأموي الملكي فيما أدخل عليه من دم أعجمي، فقد تزوج الحكم من إمرأة من شعب آل "باسك Basque " الإسباني الديار، اسمها "أورورا" فدعيت بالعربية صبحا، فولدت ابنا كان وحيد أبيه هو هشام»[2]وبعد وفاة زوجها كانت هي الوصية على العرش لقصر ابنها هشام فقد «كانت كلمة صبح مسموعة في تعيين الوزراء ورجال الدولة والبطالة وأغلب شؤون الدولة» [3] فكان أول من عينته غالب عم الحاجب ابن عامر «بعد وفاة الحكم الثاني خلفه ابنه هشام القاصر، فتولت الحكم أمه الباسكية بمشاركة غالب عم الحاجب ابن عامر وأكبر قائد في الجيش» وقد قامت بترقية محمد بن أبي عامر حتى مكنته من تولي كل السلطة وكل الأمر «وكان لصبح الدور الأكبر في تقديم محمد بن أبى عامر وتنصيبه

[1] _امين الريحاني، نور الأندلس، ص81

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 81

[3] _ عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول (من الفتح إلى بداية عهد الناصر)، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، سنة 1997 ص 521.

بعد إعجابها بذكائه ومواهبه وظرف شمائله»[1]وبشير الريحاني إلى العلاقة التي جمعت الحاجب بن عامر وصبح «ومما هو جدير بالذكر أن ابن عامر أحب صبحا في صباها» [2]هذا الحب تناقلته الروايات «توطدت العلاقات بين صبح وإبن عامر حتى أصبحت فضيحة تناقلتها الألسنة، ودارت حولها الأناشيد والأشعار الشعبية» [3]مما ساعده في تولى السلطة وإزاحة منافسيه واحدا تلو الآخر، ولكن ابن عامر لم يكتف بهذا فقد «نهج... نهجا جديدا بأن حجر على الخليفة الصبي ولم يسمح لأحد بمخالطته ، وإن خرج من القصر ألبسه برنسا فلا يعرف، وأحاطه بالجند ليمنع العامة من الوصول إليه» [4] ذلك أنه كان يريد الإستلاء على الخلافة «أما في خلافة إبنه هشام فقد صار الحاجب الحاكم بأمره، بل الطامع بالعرش» [5]ولكن مع هذه التطورات أدركت "صبح" خطورة الأحداث على عرش ابنها فسعت إلى إنقاذه بطرق مباشرة وغير مباشرة، «فقد حرضت الحكام ورجال الدولة عليه، ولا سيما زيري بن عطية عامل الخليفة في إفريقيا الذي كان يخشاه ابن عامر، وقلكا يخشى سواه» [6]وبعد أن فشلت في محاولتها أشاعت بين الناس العوام أن الحاجب يحجز الخليفة ويسجنه ويحكم رغما عنه، ففطن لها ابن عامر وأبطل كل مساعيها، إلا أنها استمرت في المقاومة والدفاع عن عرش ابنها «فاستمرت أمه الباسكية تقاوم بني عامر بشتى الأساليب الظاهرة والخفية، دون أن تؤثر في عزمهم وحياتهم» [7]فالحاجب وأبناؤه انتهجوا نفس المنهج في سجن الخليفة في قصره وتشديد العسر عليه.

---

[1] _ محمد عبد الله عنان، مرجع سبق ذكره، ص 522

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص82.

[3] _ محمد عبد الله عنان، مرجع سبق ذكره ص 536.

[4] _ نفس المرجع، ص 525

[5] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 82

[6] _ نفس المرجع، ص 82 .

[7] _نفس المرجع ، ص 82

وبعد أن فشلت محاولات صبح الباسيكية في استرجاع عرش ابنها الأموي اعتزلت ورضخت إلى المصير الذي آل إليه، بعد أن ساهمت في صنع ذلك المصير، وتوفيت السيدة صبح أم المؤيد هشام قبيل وفاة المنصور سنة 390 هـ.

2. زوجة السيد "شمينة:"

أما المرأة الثانية فهي زوجة السيد وقد وصلت إلى العرش وتولت الحكم بعد وفاة زوجها، وهي من المجتمع المسيحي يقول الريحاني عنها، «تلك السنة آخر ما قدر له في الحياة الدنيا وقد تكون الهزيمة عجلت بأجله، ولكن زوجته شمينة استمرت بعد موته تناجر المرابطين، وقد قبضت على زمام الحكم، وجلست على كرسيه ثلاث سنوات» [1] حاولت" شمينة" في هذه الفترة الدفاع عن المدينة بكل قوتها، وقد قامت أيضا باصدار أمر بتحنيط زوجها «وحين مات حنطوا جثته وأقاموا بجانبها حراسا، وتولت زوجته "شمينة" الدفاع عن المدينة، واستطاعت أن تصمد أمام هجمات المرابطين... ثم طلبت العون والنجدة من "ألفونسو" الذي ما إن وصل إلى "بلنسيه" ورأى ضخامة الجيش المرابطي، قرر أن يخلي مدينة "بلسنية" وأن يعود إلى قشتالة» [2]وبعد خذلانه لها بقيت عاجزة أمام المرابطين ولم يكن لها أمل في الصمود أكثر، فكان لا بد لها من الهرب والنجاة «عندما رأت "شمينة" أنها لا تستطيع أن تواصل الدفاع عن المدينة، فرت هاربة إلى بلاد الشمال، ومعها جثة زوجها أمامها، فدفنتها بدير قردينية، قرب برغوس عملا بوصيه» [3]وفي فرارها هذا وجهان، فهناك من يقول بأنها خرجت دون مقاومة «وخرجت زوجة السيد تحمل معها الأموال والمجوهرات التي استولى عليها فيما بعد ألفونسو، الذي خرج مع جنده ومعه فرسان السيد يحملون رفات زعيمهم بعد أن أقعدوه على حصانه معتدل القامة لم يظهر بوجهه أثر الموت من أثر

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 105

[2] _ التاريخ الإسلامي (21/08/2019)« السيد الكمبيادور»... البطل الزائف الذي تلاعب لملوك الطوائف، تم الإطلاع عليه بتاريخ (18/05/2022) موقع قصة الإسلام، إشراف الدكتور «راغب السرحاني–ISLAM STORY–w–w–w » Com

[3] _أمين الريحاني، نور الأندلس ص 105.

التحنيط... فبدا كأنه حي...» [1]وهناك من يقول أن زوجته هي من حملته على حصانها، وفي هذا يقول الريحاني عن لسان القصصي «وقال القصصي بلساني المؤرخ والشاعر: عندما رأت "شمينة" أنه لا بد من الفرار، امتطت "بيشا" جواد زوجها، ووضعت الجثة أمامها، وأغارت فاخترقت صفوف المغاربة المحاصرين المدينة... [2]» وفي هذا وصف لشجاعتها، فشمينة بطلة في نظر الإسبان مثل زوجها.

وبهذا تكون "أورورا" و "شمينة" من الشخصيات النسائية التي تقلدت الحكم ومارست السياسة ودافعت عن العرش وإن لم تنجح محاولتها فقد كان تأثيرها فعالا.

[1] _ التاريخ الإسلامي، «السيد الكيمبادور»... البكل الزائف الذي تلاعب بملوك الطوائف: موقع قصة الإسلام www.islamstory.com

[2] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 105

الفصل الثاني: الأبعاد الثقافية والدينية في رحلة نور الأندلس

المبحث الأول: الفنون والآداب

المطلب الأول: التصوير والنحت

المطلب الثاني: الزخرفة والنقوش

المطلب الثالث: الأدب الإسباني في عصر النهضة والعصور الوسطى.

المبحث الثاني: فنون العمران والرحلات والاحتفالات.

المطلب الأول: فنون العمارة والعمران.

المطلب الثاني: الرحلات الاستكشافية.

المطلب الثالث: الاحتفالات والأعياد

المبحث الثالث: صورة الفاتحون و القادة المسلمين

المطلب الأول: موسى بن النصير

المطلب الثاني: أمراء المرابطين و الموحدين

المبحث الرابع: المعاملات الدينية

المطلب الأول: معاملة المسلمين للنصارى

المطلب الثاني: معاملة النصارى لليهود

المطلب الثالث: معاملة المسلمين لليهود و موقف اليهود منهم

المبحث الخامس : التنظيمات الدينية

المطلب الأول: المشاهد الدينية

المطلب الثاني: رجال الدين

تمهيد:

لقد مكن الانصهار والاندماج بين مكونات المجتمع الأندلسي بكل أنواعه وتعدداته من خلق توافق أتاح لهم التعايش والتساكن بالرغم من العراقيل والصعوبات التي كانت تعترضهم من اختلاف في اللغة والدين والعرق، وهذا لم يتحقق إلا بسبب اعتماد المبدء الإسلامي في حرية الآخر العقائدية والفكرية «وخلاصة القول عن التركيبة البشرية وتبعاتها في المجتمع الأندلسي أن إتاحة الدولة حرية الإعتقاد لغير المسلمين، ومعها إتاحة حياة تساكنية تعدّت المعاملات والمصاهرات إلى اندماج يكاد يكون كاملا، يكشف عن تسامح ديني نادر لم يخل من رد فعل عنيف، وهو تسامح نادر لأنه سمة حضارية وثقافية من حيث أنه يدل على وعي حضاري وثقافي يمثل درجة متطورة ومتقدمة بل وراقية في مضمار التعايش والتساكن والتآلف إلى حد الإندماج والإنصهار» [1]وقد ساهم هذا التعدد والتنوع في إنتاج حضارة ثقافية متميزة لها عدة أبعاد فنية وأدبية وعلمية وإستكشافية وحرفية وعمرانية وغيرها «لينتقل بعد ذلك إلى البعد الثقافي ليخبر عن الأعمال التي تقوم بها الشخصية محاولا الجمع بين الماضي (زمن الأندلس والإسلام) والحاضر (زمن إسبانيا والصليب)، قديما مسجد قرطبة وحديثا الكنائس ومهرجاناتها، كما يذكر رحلات الإسبان لكولومبس وبيزارو واللذان عملا على توسيع رقعة إسبانيا» [2]هذا بالنسبة للعمران والرحلات وقد تطرق إلى الجانب الفني «كما اعتنى الرحالة بالجانب الفني والإبداعي للشخصية الأندلسية بما اكتسبته من فن الرسم والنحت والتلوين كما عمل على ذكر إبداعها الأدبي كسرفنتس، ودون كيشوت، هي ذات الرحالة تعمل على الإكتشاف والمحاورة لتعيد تبليغ ما

[1] _قاسم الحسيني، (2007)، الثقافة والمجتمع في الأندلس، الإنسان والمكان مطبعة بني يزن من الرباط تم الإطلاع عليه بتاريخ (20/5/2022) موقع المعرفة الأندلسيةhttps://w.w.w.Elseber.andausi-ma

[2] _محمد سرير،« الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر في عيون الرحالة رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني نموذجا»، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 5، العدد 1، بتاريخ صفر 1439 هـ الموافق ل أكتوبر 2017 م ص 65.

سجلته إلى القارئ وفق أسلوب سردي معين»[1] وقد تحدثنا في الفصل الأول عن مكونات المجتمع الأندلسي المتمثلة في العرب والبربر والمستعربين والغوط والمولدين واليهود هذا التركيب البشري المتنوع وبالرغم من اندماجه وانصهاره كان متباينا في التأثر والتأثير فكل شخصية لها دورها الفعال سواء السلبي أو الإيجابي، وكل منها ساهمت في بناء الثقافة الأندلسية بما يميزها من خصائص «نستخلص أن الشخصية الأندلسية عرفت بعدة عادات وتقاليد.... وذلك راجع لإختلاف هذه الأجناس» [2]وقد كانوا في هذا الإختلاف المتباين، يجتمعون تحت الآداب والأخلاق الإسلامية، وقد ظهر ذلك في طباعهم وأحوالهم «وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه... وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش، وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال... ولهم مروءات على عادة بلادهم» [3]كما تطغى على هذه الشخصية حب العلم والأدب والفنون «فالأدب والشعر عرفتهما الشخصية الأندلسية وبرعت فيهما..» [4]كما برعت في باقي الفنون والحرف والعمران.

[1] _ محمد سرير، «الشخصية الأندلسية بين الماضيي والحاضر»، ص65

[2] _ نفس المرجع، ص 70

[3] _ المقري، نفح الطبيب، ج1، ص 223.

[4] _ محمد سرير،«الشخصية الأندلسية»، ص71

المبحث الأول : الفنون والآداب

تعددت الفنون والآداب في الأندلس، بل وكانت في قمة ثرائها وجمالها، وقد تعددت هذه الفنون بتعدد شعوبها، ومن هذه الفنون نجد:

المطلب الأول: الرسم والنحت

لقد عرفت إسبانيا نهضة فنية في النحت والتصوير، وبروز رسامين ذو كفاءة عالية، حيث شاع استخدام الألوان الزيتية في الرسم، وتميزت اللوحات بتصميمها الداخلي الخاضع لفن الرسم المنظوري، وتوضع الألوان والظلال وفق النمط الإيطالي «ثم دخل إسبانيا الفن الإيطالي الجديد، ابن النهضة المعروفة بالرنساس فكان "لويس دي فاركاس" و"فرانسيسكو بيشقو" الرائدين لها» [1]ومن زعماء هذا الإتجاه ذكر لنا الريحاني مجموعة من الفنانين ك"هريرا" «خوف هريرا زملاؤه بضربات ريشته الغليظة.... فكان يجيء بصبيان الأزقة ويلبسهم قمصانا من الخام ليمثل الملائكة في لوحاته تمثيلا واقعيا غير خيالي...» [2]و"مورليو" الذي كان مستقلا نوعا ما عن الفن الإيطالي «ولقد أجاد مورليو في تمثيل حياة الأنبياء والقديسين كما أجاد تصوير الأولاد في الأزقة... بل إن الجمال الذي يتخلل عيون الصبيان في اللوحات هو من رصانة الأنبياء... ومن أسلوب الدور الثاني صورة كبيرة في كاتدرائية اشبلية للقديس "أنطونيوس" بلغ فيها ذروة الفن» [3]وقد كان الفن في هذه المرحلة خادما للدين والكنائس والأديرة.

وقد مثل "فلاسكيز" الفنان المتحرر من القيود الشكلية والشخصية لفنه ثلاثة أدوار: «الدور الأول يمثل الطبيعة تمثيلا صادقا أمينا... والدور الثاني يبدأ بزيارته لإيطاليا وتأثره بفنون "ميكل آنج" و"تيتيان" و"تنتورتو"، فشرع يصور مثلهم في فيض من نور... أما الدور الثالث فالفكر هو الذي تغلب في لوحاته، أو مزية الفكر السامي... وأبلغها في لوحاته

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص36

[2] _ نفس المرجع ص 36.

[3] _ نفس المرجع ، ص 37

الحربية المشهورة التي تدعى الرماح...»[1] وبالإضافة إلى العامل الإيطالي كان للعامل البيزنطي تأثير في الفن الإسباني «فالعامل البيزنطي في فن التصوير الإسباني هو قسم من العظمة التي تميز صور فلاسكيز عن سواها...» [2] ويعد فلاسكيز مدرسة قائمة على الانفعالات «وهذه المدرسة التي ولدت من التمرد على المدارس الرسمية الأرثوذكسية تمت بنسبها... لفلاسكيز..."[3]وبالإضافة إلى هذا الفنان العبقري، يجدر بنا الإشارة إلى "فرانسيسكوغويا" الذي تقاسم مع "فلاسكيز" شهرته ومجده، يقول الريحاني: «إن غويا في نزعته الشديدة إلى الطبيعة... يمثل "إميل زولا" في الآداب وهو في تهكمه مثل "هوغرت"، وفي مجونه مثل "رابليه"، وقد عبر عن كل ما اختلج في نفسه ولاح في خاطره بالريشة والمنقاش، على اللوحة وفي لوح النحاس، فإن محفوراته مثل زيتياته لفي المنزلة الرفيعة الغزيرة من الفن، وفيها جميعا معرض طريف للحياة الإسبانية الدينية والسياسية والإجتماعية...» [4].

وأما النحت فقد كان ملازما للتصوير، حيث تمكن الرسام والنحات "خوسه دي ريبيرا" من إرساء التجديد في الفنون «وأول من أسس مدرسة على مبدأ التجدد هو ابن اشبيلية كذلك خوسه دي ريبيرا» [5]وكان «أول من رفع مستواها الفني بالتماثيل المجردة من العوامل الفرنسية أو الغوطية أو الإيطالية هو النحات "مرتينس مونتانياس"» [6] ويرجع هذا التطور والتجديد في الفنون لتأثر الإسبان في البداية بالنهضة الفنية الإيطالية بعد عام 1492م

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ص 38-39

[2] _ نفس المرجع، ص 40

[3] _ نفس المرجع، ص41

[4] _ نفس المرجع، ص42

[5] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ص 35

[6] _ نفس المرجع، ص 35

سقوط الأندلس وتوحيد الممالك الإسبانية وانتشار الرحلات الإستكشافية «ما قامت النهضة الإسبانية الفنية الوطنية وازدهرت إلا بعد انقراض الحكم العربي في البلاد...» [1]

2- المطلب الثاني :الزخرفة والنقوش الإسلامية:

إنتشرت الزخرفة الإسلامية في بلاد الأندلس، ووجدت بكثرة في المساجد وبلاطات القصور والأبنية، والمعادن والأخشاب وحتى في الأطباق النحاسية، وقد اشتهرت الزخرفة النباتية والهندسية والخطية بكثرة، وندرت الزخرفة الآدمية وحيوانية لأن ذلك كان مكروه لدى المسلمين.

ومزال هذا الفن قائما في أبنية إسبانيا، وقد نقله لنا الريحاني وهو يصف جدرانها وأسقفها «هي ذي عمد إيطالية تحمل أقواسا عربية نعفرية، وهناك منطقة بالخط الكوفي... وهذه مناطق أخرى من الحروف الكوفية، وإن كانت ألفاظها مشوشة تتخللها دوائر مذهبة... وتلك مناطق من الحفر والنقش والتلوين على الجدران... يحيط بها إطار عربي تقلدّ فيه الحروف الكوفية والمغربية» [2]والخط الكوفي نجده منتشرا بشكل كثيف في معالم إسبانيا «وقد بلغ الأندلسيون في تذوقهم الجمالي للخطوط شوطا كبيرا لدرجة أنهم كانو يتفننون في محتوياته ودرجات نقله على الكتب والمصاحف، كما نجده مزخرفا على اللوحات، وعلى البيوت والمساجد ومراكز الأمراء والولاية، وقصور الحكام وفي الكنائس، والكاتدرائيات فظهر الأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون... وظهر الناسخون والوراقون والمجلدون...» [3]يذكر لنا الريحاني مدرسة للنساخ «وكانت قد تأسست في الشمال في دير من الأديرة مدرسة للنساخ يتعلمون فيها الخط والرسم والتوريق العربي كلها، وكان لهذه المدرسة وآثارها تأثير بليغ في

---

[1] _ نفس المرجع، ص35 .

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص29

[3] _ سامية مصطفى سعد، الوراقة والوراقون في الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000، ص 34-40

فني التصوير والنحت، ليس في إسبانيا فقط، بل وفي أوروبا جمعاء» [1]وعلى الرغم من فضائل العرب على الإسبان وعلى أوروبا إلى أنهم ينكرون أي انتساب لهم «لكنهم لا يقرون بذلك ويدعون لأنفسهم الحضارة والعلم، لكن الواقع والمتتبع لأثار ذلك على أعمالهم يجد التأثير واضح» [2]يقول الريحاني: «وقد أخذت مدرسة إشبيلية عن الفن العربي الشيء الكثير، وموهته بالألوان القائمة والأساليب البلدية، فلا تظهر عروبته في مظاهرها الباهرة، وكان السبب في ذلك ما كان بين الأمتين من عداء واعتداد وحروب، فالفنان،... كان يقتبس عن الفنون العربية ويحاول أن يخفيها أو يمسيها مغربية...» [3]وإذا ما بحثنا عن فن الزخرفة الهندسية العربية الأصلية فسنجدها في بادية نجد أو الإمارات «وإنك لتراه حتى اليوم يحفر_العربي_ الرسوم الهندسية دوائر ومربعات وخطوطا بالجص على جدران المجلس أو غرفة القهوة وتراه يصبغ أبوابه بالصبغة التي ذكرت، ويرسم فيها الدوائر المقسمة والمربعات القائمة والمائلة، وغيرها من الرسوم الجامدة[4]» ، تطور هذا الفن في الأندلس حتى وصفت الزخرفة بلغة الفن الإسلامي.

أما بالنسبة للنقوش فقد حضي الخط العربي بنصيب وافر منها وذلك لما يملكه من خصائص تجعله قابلا للاستخدام «طواعية حروف الخط العربي للتشكيل حيث يجد الفنان فيه مجالا خصبا ومتنفسا لإنطلاق خياله الفني»[5] وقد أخذنا الريحاني في آخر رحلته إلي بيت شيخ بسيط كان فيه أثر لنقوش عربية. ذلك الأثر الذي جعله يحاور الفيلسوف ابن رشد «وهاك أثرا جميلا من ذاك الخراب في تلك الردهة الأوروبية الفرش والبناء، على الجدران الأربعة زنار من البلاط الزليجي منقوش فيه «بسم الله الرحمان الرحيم، والحمد لله على نعمة الإسلام»، وكذلك نتف من الشعر مفككة الألفاظ مقطعة المعنى، سألني الشيخ قراءتها

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص32

[2] _ محمد سرير، «االشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر»، ص78

[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 33 .

[4] _ نفس المرجع، ص 30 .

[5] _ مايسة محمود داوود، الكتابات العربية على للآثار الإسلامية، دار الملتقى، بيروت 2000 ص 402 .

وترجمتها... ثم قال وعندي أثر آخر يهمك... هناك في حائط ظاهرة قديم حجر منقوش فيه «رشد»... فهز الشيخ رأسه وقال: لا شك عندي أن هذا بيت "آفروس" أي ابن رشد...» .[1]

وقد كانت النقوش على البلاطات والرخام السكنية وكذلك على اللحود وشواهد القبور «إن جزءا كبيرا مما وصل إلينا من الآثار الكتابية الأندلسية عائد إلى شواهد وألواح تذكارية ونقوش على قبور بعض الأعيان، وكانت المادة المستعملة في هذه التحف هي الرخام والخزف...» [2]إضافة إلى نقش الأشعار عليها «وصار نقش الأشعار على مقابر السلاطين والقادة والأمراء والمشاهير تقليدا منذ وقت مبكر في الأندلس،... وترسخت هذه العادة في المقابر الأندلسية العامة والخاصة وتمت إقامة شواهد منحوته بالزخارف..[3]» وبهذه الصورة تتضح معالم الزخرفة الأندلسية وجماليتها وأناقتها، وقد نال منها القرآن والأدب والكلمات المعبرة المصورة والمنقوشة بشكل بارز على الأسقف والجدران التي مازالت قائمة في إسبانيا إلى اليوم حظا وافرا.

المطلب الثالث: الأدب الإسباني في عصر النهضة والعصور الوسطى

لم تقم النهضة الإسبانية الفنية إلا بعد انتهاء الحكم العربي فيها، فلا يمكن لأمة مغلوبة أن تنهض للفن والعلم يقول الريحاني مستشهدا بمقولة شاعر إسبانيا الكبير "لوباده فيغا" "القليل وهو ملكي أعظم من الكثير وهو ملك غيري"[4] وقول "فرنندو هريرا" أكبر الشعراء وأول المجددين "اللغة لا تموت ما دامت على ألسنة الناس، وفي قلوبهم وهي في حياتنا تستمر في الارتقاء والتحسن، فتفوق في يومها أمسها وتنبذ في سبيل التجدد كل بال وقديم"[5] ويرى الريحاني "في هاتين الكلمتين نور يضيء مهد النهضة الأدبية الفنية الوطنية، التي

---

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 118.

[2] _ إغناثيو غوتيريث دي تيران:«اللغة العربية والنقوش والآثار المكتوبة في إسبانيا»، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد 3، ص67 .

[3] _ نفس المرجع، ص 67.

[4] _أمين الريحاني ،نور الأندلس، ص35.

[5] _ أمين الريحاني ،نور الأندلس، ص35.

ازدهرت في القرن السابع عشر ..."[1] وقد سميت هذه الفترة بالعصر الذهبي للأدب الإسباني وللفنون الأخرى "مما أدى إلى وفرة في الأعمال الأدبية من نثر وشعر وفنون الدراما الإسبانية"[2] وعدد لنا الريحاني بعض الكتاب هذه الفترة "وممن ولدوا في اشبيلية من الكتاب المجددين: لوباده رويدا، ومايتو أليمان ومن فنانين زعماء النهضة: فرنسيسكو هريرا ... وموريليو وفلاسكيز" وقد اعتمد هؤلاء في التجديد على التخلص من الأساليب التقليدية، التي كانت في أغلبها مقلدة عن الأجانب، الغوط، العرب، إضافة إلى الاعتماد أو التأثر الكبير بالفن الإيطالي الجديد، وتغيرت المواضيع حيث "أصبح الأدب والفن وسيلة للتعبير عما يختلج الإنسان، فالإنسان هو مركز الكون، وغنى شعراء عصر النهضة للحب الإنساني وللطبيعة وللوقائع الحربية وعالجوا قضايا سياسية وفلسفية"[3] وينقلنا الرحالة إلى مقاطعة لامنشا حيث دارت أحداث رواية "الدون كيخوت" والتي تعد واحدة من أعظم الأعمال في الأدب العالمي للكاتب والروائي والشاعر "ميغيل سيرفانتس"، قد تمثل التجديد في هذه الرواية من خلال طرح خيالي وواقعي "ودون كيخوت قصة ذلك النبيل الريفي ... المفعمة بالدعابة والشفقة، وتقابل الرواية بين المفهومين المثالي والعملي للحياة، كما أنها تحلل التباين بين الظاهر والواقع"[4] فجمع بين الحقيقة والرمز "ليحارب إذن دواليب الهواء في هذه الصحراء، وفي صحراء إسبانيا الاجتماعية هي ها هنا حقيقة ورمز ..."[5] فقد صور الواقع بالجنوح إلى الخيال وأسلوب السخرية "لم اختار المؤلف هذه الأرض اليابسة العابسة ... أليتم غرضه في تصوير زمانه اليائس العابس، وأبناء زمانه المالحة أيامهم وأحلامهم بريشة السخرية ؟ إني

[1]_ نفس المرجع، ص35.

[2]_ نفس المرجع ، ص35.

[3]_ معلومات عن الأدب الإسباني في عصر النهضة،(2020/10/31).تم الاطلاع عليه بتاريخ (24.05.2022) موقع http://idoLoo.gov،

[4]_ الموسوعة العربية الشاملة، ، (2009/13.04) ،الادب الاسباني ،تم الاطلاع عليه بتاريخ (2022/24.05) موقع ucdz.com.0mousou3a.ed،

[5]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص73.

أجنح إلى هذا الظن"[1] رسالة إلى أشراف إسبانيا وأبنائها المقلدين لهؤلاء الأشراف بأن لامانشا ستصبح مثمرة.

أما قبل عصر النهضة فقد كانت الآداب والفنون وسيلة لتكريم الله ولتمجيد الأبطال وتخليدهم، وقد أسبقنا أنها كانت متأثرة بالعناصر الأجنبية، ككتابات المستعريين "وقد نشأ في طليطلة جيل يتكلمون باللسان العربي، ويكتب النابغون منهم الكتب وينظمون القصائد باللغة العربية"[2] حيث ساهم هؤلاء في نقل العلوم والآداب العربية الإسلامية إلى أوروبا من خلال ترجمتها إلى اللاتينية والعكس "ترجموا الأناجيل والوثائق الكنائسية وأقبل مسيحيو الأندلس ... على دراسة كتب الشعر والعلوم العربية، وشغفوا بالفن الأدبي العربي، وأصبحوا ينظمون أشعار بالعربية ... وكأمثلة على هذه الأشعار أبيات نظمها أحد القساوسة... وأهداها إلى أسقف مستعرب يدعى عبد الملك جاء فيها:

-كتاب لعبد الملك الأسقف الندب _ جواد نبيل الرفد في الزمن الجذب

-همام ذكي الحس واحد عصره _ عليم كريم ذي علوم وذي لب

-تجدد فضل الله فينا بفضله _ وعم به الأنام هدي الرب"[3]

وفي هذا دليل على ارتفاع مستواهم اللغوي وإيجادهم للغة العربية .

وقد أشار الريحاني إلى الكتابات الملحمية التي كانت شائعة في العصور الوسطى "اهتمت الكتابات الكاستيلية ... بشكل خاص وأساسي بتناول مواضيع الحب والغزل والحروب مما أدى إلى إنتاج شعر ملحمي كما كان الأمر شائعا ... فترة العصور الوسطى، أشهر ما كتب في هذا المجال في إسبانيا في تلك الفترة كانت قصائد "دي ميوسيد" حيث تحدثت عن المحارب الأسطوري "إل سيد" الجندي المغوار ... وكانت مكونة من 3700

[1] _نفس المرجع، ص73.

[2] _ نفس المرجع، ص64.

[3] _محيي الدين صفي الدين،(مستعربو الاندلس،التسمية والظهور)،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،العدد05،قسم العلوم الإنسانية ،جامعة معسكر،05.12.2010،ص332.

قصيدة"[1] كما كتبت عنه الروايات والقصص ونظمت الأشعار "وللسيد الخرافي قصص ودواوين أهمها "ملحمة السيد" وهي أقدم الملاحم الإسبانية و"أسيا والسيد" وهو تاريخ روائي، أو رواية تاريخية شبيهة في أسلوبها بالروايات التاريخية، في كتاب ألف ليلة وليلة هذا فضلا عن القصائد وقد نظم باللغة الإسبانية وحدها أكثر من مائتي قصيدة في مدحه وتمجيده"[2] وكانت في معظمها مكتوبة باللغة الإسبانية الرومانية، وبهذا يكون الريحاني في نص رحلته قد صور لنا الأدب الإسباني في عصره الذهبي، مبرزا عوامل نهضته، كما نقلنا إلى العصور الوسطى إبان الوجود العربي، وما ميز هذا العصر من كتابات المستعربين والآداب الإسبانية الرومانية.

المبحث الثاني: فنون العمران والرحلات والاحتفالات

المطلب الأول: فن العمارة و العمران

لقد مزجت الحضارة الإسلامية في الأندلس بين العقل والروح، فامتازت بذلك عن كثير من الحضارات الأخرى، وقد كان فن العمارة من أولى اهتماماتها، فأسهمت في تطويره حتى وصلت إلى درجة عالية من الإتقان والإبداع والجمال، وقد بقيت آثاره إلى اليوم شاهدة عليه في أرض إسبانيا، وقد تمثلت هذه الآثار في المساجد والقلاع والحصون والأزقة والأسواق وأنماط البيوت وهندستها، وعلى الجانب الآخر نلحظ مظاهر للفنون المعمارية المسيحية، الرومانية والإغريقية، بل ونجد أحيانا مزيجا لفنون مختلفة مجتمعة في معلم واحد.

وقد اهتم أمين الريحاني في رحلته إلى أرض إسبانيا بوصف الآثار المادية للفن الإسباني الأندلسي.

1. جامع قرطبة:

وهو من الآثار التي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا الجامع الأكبر الذي يمثل مركزا للفن الأندلسي، وقد بني في عهد "عبد الرحمن الداخل" الأموي على أنقاض كنيسة

[1] _ إقبال التميمي، محطات تطور الأدب الإسباني، 2006/03/15، موقع إيلاف https://elaph.com ، تم الإطلاع عليه، 2022/05/25.

[2] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص105

"وقفنا في قرطبة للزيارة، وفي قولي قرطبة أقول الجامع الكبير ذلك الأثر التاريخي الديني الفني النادر المنقطع النظير في العالم"[1] وكان هذا الوصف في محله، فقد جلب عبد الرحمن الداخل "الأعمدة الفخمة والرخام المموه فأتمه ابنه هشام فأنشأ به المنارة الأولى، وزاد فيه عبد الرحمن الحكيم بهوين جديدين من ناحية القبلة، ثم جدده الأمير عبد الرحمن وأنشأ به مقصورة ضخمة كانت الأولى من نوعها في مساجد الأندلس وفي عهد ولده الأمير عبد الله أنشأ "الساباط" الموصل من القصر إلى الجامع وهو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد كبير"[2]،وقد استمرت الإضافات في الجامع إلى وقت الحاجب المنصور "فزاد فيه من الناحية الشرقية زيادة كبيرة، وبنى مقصورات محاذية للجامع، وبالتالي أصبح المسجد واسعا يحوي على ألف وأربعمائة وسبعة عشر، وبلغت ثرياته مئتين وثمانين"[3] والجامع اليوم كاتدرائية بعد أن حوله الإسبان بعد سقوط الأندلس وهو نموذج لفن العمارة الإسلامية في إسبانيا.

2. القصور:

وقد شيدت في الأندلس مجموعة من القصور تعتبر غاية في الجمال والدقة والأناقة، كقصر الرصافة وقصر الزهراء وقصور ملوك الطوائف، وقصر إشبيلية "هذا القصر ممثل فارس مغوار، قضى حياته في الغزوات والحروب ... بني هذا القصر او ما كان مكانه من قصر وحصن للسلطان الموحدي أبي يعقوب يوسف فتهدم في الحروب، وأعاد بناءه أيام الملك بطرس ... ثم جدد في عهد الملكة إيزابلة الثانية تجديدا كليا بالأسلوب الغرناطي تقليدا للحمراء، بنقشه وحفره وبنوافذه الشمسية ... ذات أقواس على على شكل نعل الفرس نعفرية"[4]، وعلى الرغم من أن القصر دخل عليه الكثير من الأساليب الجديدة عليه إلا

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص.14

[2] _سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، ج2، الإسكندرية، 1960، ص751-752.

[3] _محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص21.

[4] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص28.

أنه "لا يزال محافظا على الإجمال المعروف بطابعه الأول العربي، خصوصا في روافد سقوفه وخشبها، المحفور الملون منها، والمموه بالذهب. "[1]

وقد تميزت قصور غرناطة عن غيرها من القصور "أما عن قصور غرناطة فيختفي فيها نظام الاعمدة العمودية، وتقتصر قاعة القصر على جدران تتخللها شمسيات توأمية معقودة تطل على منظر طبيعي، فتكسوا الجدران بزخارف متعددة موزعة من أدنى الجدران إلى السقف تجعل من الجدران أبسطة منقوشة، فتكسوها تربيعات رائعة من الزليجي تعلوها تنميقات جصية من التوريق الذي تمتزج فيه كتابات كوفية أو نسخية تتشابك حروفها وتتعانق رؤوسها وتتضافر أبدانها فيما بينها وتختلط بالفروع الملتفة والأغصان المتموجة"[2] وبسبب التوريق أطلق عليه "قصر المورق".

3. الكنائس والأديرة:

جمعت إسبانيا مجموعة وافرة التنوع من الهندسة المعمارية قبل التواجد العربي الأندلسي فيها، كفن العمارة الروماني والأستوري والغوطى، ومع الحضور الإسلامي اندمجت هذه الفنون لتشكل ما يسمى بالفن المدجن، وقد عبرت الكنيسة الكاتدرائية عن هذا الفن حيث جمعت بين الطابع العربي والإسباني.. "أطلنا الوقوف في الكاتدرائية ... في صومعتها الشهيرة التي تدعى "خيرالدا"، والذي يهمنا في هذه الصومعة أو المنارة، كما كان عرب المغرب يدعون المئذنة، هو أنها تمثل عهدين وفنين بناها المعلم جابر ... وبنى البرج الأعلى ... وهو من فن الـ "رنسانس" في الهندسة وفي الفنين مثال لما يسميه الإسبان الأسلوب المدجن "Modeion Estilo" أي الجامع بين الهندستين العربية والإسبانية"[3] وقد حظيت الكنائس ببالغ الاهتمام كونها مكان العبادة الأسمى لدى المسيحيين، فاهتموا ببنائها وترميمها وزخرفتها ونقشها ونحت تماثيلها.

---

[1] _نفس المرجع، ص29.

[2] _عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، عالم الفكر، م8، العدد 1، الكويت، 1977، ص120-121.

[3] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص.26_27

ولم تكن محل العبادة فقط "تعتبر الكنائس مكانا لدفن الملوك والعظماء، كما هو في كنيسة إشبيلية"[1] فيها جثة كولومبس وابنه "وهاهو ذا الأثر التذكاري للوالد الخالد، وهو مؤلف من قاعدة ويقوم فوقها أربعة أشخاص ... يرفعون على أيديهم التابوت المحتوي على جثة كريستوفر كولومبوس ..."[2]، وقد كان النصارى يقومون بهذا التقليد –دفن العظماء في الكنائس والأديرة– في مختلف مدنهم.

وبالإضافة إلى الكنائس الأديرة وقد وصف لنا الريحاني "دير سيلوس" "وسيلوس دير قديم ... بناه أحد ملوك الغوط في القرن السادس للميلاد ... هو دير للرهبنة الدومينقية ... مشينا في خطواته توا إلى بيت القصيد فيه، وهو صحن بأروقته الأربعة المسقوفة كلها بالخشب المحفور ... هو أجمل مثال في إسبانيا للفن الروماني ... قلت إنه عند التيجان ينتهي الفن الروماني، لأن التماثيل الصغيرة التي تزينها هي جامعة لكل الفنون ... منها ما هو شرقي فارسي وشرقي هندي ... غوطي ... عربي، أندلسي ... بيزنطي ... بشتى الأساليب"[3] وهذا التعدد في الفنون دليل على تعدد الشعوب التي مرت بإسبانيا جمعها الجمال.

المطلب الثاني: الرحلات الاستكشافية

إن حب المغامرة واكتشاف المجهول جزء مهم من الأسباب التي تدفع الرحالة إلى القيام بالرحلات، وقد تكون دوافع هذه الرحلات علمية استكشافية، أو تجارية أو سياسية أو دينية أو بحثا عن مناطق تحتوي على ثروات معدنية وكان هذا من أهم الأسباب لحدوث اكتشافات لمدن وقارات جديدة.

"إننا نجد الريحاني يضمن رحلته ببعض الرحلات الاستكشافية التي قام بها بعض الاسبان، كانت الرحلات منطلقها سياسي ثم نفعي، وذلك بتوسيع نفوذ اسبانيا، وانتفاع

[1]_ محمد سرير، الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر، ص74.

[2]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص26

[3]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص93-94.

الرحالة بما يجني من المال والرفعة عند الملك والملكة. ومن أبرز هؤلاء الرحالة كولومبس مكتشف أمريكا وكان ذلك سنة 1492م أي في السنة التي سقطت فيها دولة بين الأحمر آخر معقل ومعلم للإسلام في الأندلس"[1] وهي عبارة عن ثلاث رحلات تكللت بالنجاح، حيث تمكن من جلب كميات معتبرة من الذهب، الذي حرك أطماع الكثيرين، وقد ذكر الريحاني مجموعة من الرحالة المستكشفين مثل: "بلباو" الذي اكتشف "أوقيانيوس" الهادي و"داريان"،و"خوان بنسه ده ليون"مكتشف فلوريدا، و"فرناندو ده سوطو" مستكشف نهر المسيسيبي.

وأعطى الريحاني مثالين لهؤلاء المستكشفين أو ما أطلق عليهم بالفاتحين الاسبان، فتحدث عن "بلباو" المستكشف الشريف ،و"بيزارو" المستكشف الظالم ،فتحدث عن "بالباو" قال:"وبلباو هو أشرف المستكشفين للاسبان نفسا، وأكرمهم خلقا، وأحرصهم على العدل وأسبابه في معاملة الناس، هنودا كانوا أو بيضا"[2]،وكان قد رافق كولومبس في رحلته الثانية، وبعدها قام بتولي عدة رحلات "ثم رحل رحلات إلى أمريكا الوسطى، كان هو قائد حملاتها فبلغ أرضا في العنق الذي يصلها بأمريكا الجنوبية اسمها "داريان"...وخر بلباو ساجدا يشكر الله، ثم نزل من الجبل إلى الشاطئ الغربي، وصاح بملء صوته قائلا: هذا البحر وهذه الأرض ملك اسبانيا، واني أرفع فوقها العلم الاسباني باسم الله والملك"[3] وقد كان "بلباو" يسعى إلى مواصلة الاستكشاف ليصل إلى بلاد "البيرو" حيث سمع أن أهلها يأكلون ويشربون في أنية الذهب، لكن حاكم مستعمرة "داريان" حال دون ذلك.

ليكون هذا الحظ في الاستكشاف من نصيب بيزارو" "الذي عاد إلى بلاده ليهيئ حملة لاستكشاف بيرو وفتحها"[4]وساعده في ذلك الكاهن "هيرنندولوك" والجندي "دياغو ده

[1]_محمد سرير "الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر". ص75

[2]_أمين الريحاني، **نور الأندلس**، ص59

[3]_نفس المرجع، ص59

[4]_نفس المرجع ، ص59

ألمغرز""أبحر بيزارو بمائة من رجاله الأشداء في سنة 1524، ولحق به شريكه الجندي بحملة أخرى، فوصلت الحملتان بعد سنة إلى بيرو، وألقوا مراسيهم في ميناء بلدة قريبة من مدينة طمبيز، فنزل الاسبان الى البر بشيء من الأبهة التي كان لها وقعها في قلوب الأهالي الهنود، فرحبوا بالأجانب أجمل ترحيب وهم يظنونهم من أبناء الآلهة"[1] فعلى الرغم من امتلاك شعب البيرو لأراضي غنية بالذهب والفضة إلا أنهم كانوا قوما يعمهم الجهل، وحاكمهم كان ضعيف الشخصية، بينما كان الاسبان في بداية نهضتهم العلمية والفنية "إنها ثنائية العلم والجهل في قبضة المتعلم بدلا من يساعده ويعلمه قام باحتلاله، هكذا استغل بيزارو سذاجة هؤلاء الهنود ...فعمل على رؤية ملكهم "انكا" واحتال عليه حتى سجنه، فأراد افتداء نفسه بغرفة من ذهب، هكذا الطمع الاسباني فوعد وما وفى، أحضر الذهب لكن الملك قتل بحجة تقربه بدمه إلى دين المسيحي كما قرر ذلك الكاهن"[2] وهذه جريمة شنعاء قام بها هؤلاء الاسبان باسم الدين "قال المؤرخ سبريسكوت: ان اعدام أخر "انكا" لمملكة بيرو، الانكا "أتاولبا" لمن أفضع ما ارتكبه أولئك الاسبان"[3] ويمثل بيزارو وكاهنه الوجه السيئ للمستكشفين الاسبان.

وقد تمكن هؤلاء الرحالة المستكشفين من احتلال لأراضي أمريكا بما يملكونه من علم وقوة، وقد ساعدهم في ذلك جهل تلك الأمم وضعفها، فقد تمكن هؤلاء المستكشفين من نقل انطباعاتهم ورصد الصور والمشاهد كما هي في الواقع في نقل خبر تاريخي الذي "يؤدي وظيفة التلقين والتعليم والابداع والامتاع والاعتبار باعتبارها رهانات للتحقق"[4]وهنا تبرز الأهمية التعليمية للرحلات فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراءا لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

---

[1] _ امين الريحاني، نور الاندلس، ص56

[2] _ محمد سرير، الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر، ص76

[3] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص58

[4] _شعيب خليفي، **الرحلة في الأدب العربي**، التجنيس وأليات الكتابة الخطاب المتخيل، ط1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة 2006، ص244.

المطلب الثالث : الاحتفالات والأعياد

تعتبر المهرجانات عاملا مؤثرا في تشكيل الهوية الثقافية والمجتمعية، وتعد أنواع هذه المهرجانات دليل على التنوع الثقافي في التقاليد والأعراف، وللمهرجانات دور مهم في تعزيز الهوية الثقافية المحلية للمجتمع.

وأرض اسبانيا هي موطن هاته المهرجانات، فلا تكاد تخلو مدينة اسبانية من هذه الثقافة الشعبية، وهي مختلفة بحسب العادات والأساطير والأديان المستوحاة منها.

وقد صادف وأن كانت رحلة الريحاني إلى أرض اسبانيا في موسم المهرجانات، فنقل لنا أكبر مهرجان فيها على أرض اشبيلية وهو مهرجان "الأسبوع المقدس" أوسيمانا سانتا، فيصف لنا كيف بدأت التجهيزات لهذا المهرجان "في الكنائس ضجة، وفي البيوت والمخازن ضجات، فالشمامسة ينظفون تماثيل القديسين والقديسات والكهان يخرجون الحلي من أسفاطها، والخدم يزيلون الغبار عن الأثواب التاريخية والصور، والنجارون يبنون السدد والهوادج، والنساء يملأن القمائم بماء الورد، والبنات يضفرن أكاليل الزهور... ومعامل البيرة تضاعف إنتاجها هي اشبيلية تتأهب لمهرجانها الأكبر، مهرجان الأسبوع المقدس، المهرجان المنقطع النظير في العالم المسيحي بل في العالم أجمع"[1]وهذه الصورة التي قدمها الريحاني تعكس إعجابه وانبهاره بهذه التحضيرات، ثم يسترسل في وصف مسيرة مواكب المهرجان "فتخرج الهوادج من الكنائس كل يوم من ذلك الأسبوع... ثم تسير بموكب فخم ضخم إلى الكاتدرائية مارة بشارع المدينة المشهور... هو شارع الحية الذي تحدث يومئذ فيه الأعجوبة الكبرى، كيف لا وهو على ضيقه وقصره يتسع لألوف من أبناء المدينة وألوف من الأمريكيين الزوار."[2]

ويعرج الريحاني إلى تلك النسوة التي تغنين بموروث عربي "ومن نوافذ البيوت وأطنافها تنثر النساء ماء الورد في قماقمهن على الموكب ويرفعن أصواتهن وقلوبهن بالإنشاد

[1]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص19.

[2]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص20.

والابتهاج، فيذكرن العربي في وقفاتهن وغناتهن، بأهل التجويد، فهل هي يا ترى من بقايا الروح العربية تتوارثها الأصوات والقلوب الأندلسية؟"[1]ونلاحظ في هذا السياق ارتباط للشخصية الاسبانية بالذاكرة العربية كموروث ثقافي واجتماعي لا يمكن الاستغناء عنه "فالموروث الثقافي والاجتماعي ...الذي وصل إلينا من الماضي البعيد أو القريب، موجود في ذاكرتنا يعيش معنا، ويتجسد في لأشكال مختلفة خلال حياتنا، في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معه، وإعلان موته نظريا أو شعوريا، تظل خطاطته وأنساقه وأنماطه العليا مرسخة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة"[2] فالمهرجان جمع مورثات مختلفة دينية واجتماعية وفنية وغيرها.

وقد أطال الريحاني في وصف هذا المهرجان بكل تفاصيله وأحواله حتى يخيل للقارئ أنه يعيش تلك الأجواء، ومن ذلك نقل لنا أجواء الفرح والمرح لمهرجان ربة العيد "فيركب المعتمرون والمعتمرات الخيل والبغال والعربات الضخمة تجرها الثيران، ويحملون فرشهم ومواعينهم إلى "مرسيما" هولا كره ويقيمون هناك في هرج ومرج ومرح وطرب، ويقيمون الصلاة، ويشربون البيرا، ويأكلون القرديس ويصيدون الطيور"[3]، ويشير الريحاني إلى أن اشبيلية كانت متوقفة عن المهرجانات بسبب الحرب الوطنية، لذلك خرجت في هذا العام تحتفل بالنصر في عهد الجنرال فرانكو "فخرجت في ربيع هذا العام تحمد الله، وتسبح العذراء، وتحتفل بالنصر، وتقيم المهرجان... فكانت تتدفق مرحا وطربا وحبورا"[4]واسبانيا كلها احتفالات وأعياد، فمن اشبيلية إلى أندلسيا "بلاد الرقص والقمار، بلاد الكنائس وصراع الثيران، إنها قطب السرور في فلك الاسبان...والناس قائمون قاعدون يودعون عيدا ويستقبلون عيدا... ففي سمائها وفي شمسها عرش للعيد الوهاج... وفي هوائها جرثومة سعر

[1]_نفس المرجع، ص20.

[2]_سعيد يقطين، **الرواية والتراث السردي**، من أجل وعي جديد بالتراث، دار الرؤية، ط1، دار البيضاء، المغرب، 2006، ص226.

[3]_أمين الريحاني، نور الأندلس، ص22/21.

[4]_نفس المرجع ، ص 21.

تدخل قلبك فتسرع ترقص فيه حتى تستهويك وتستغويك... فتسترسل مثل أبناء البلاد، وتسير معهم من عيد صغير إلى عيد كبير إلى عيد أكبر إلى الأعياد في الربيع"[1]وقد تحدث الريحاني عن هذه الأعياد مبتهجا مرة ومستاء لكثرتها مرة أخرى "فبعد ما شاهدت ما في اشبيلية من الآثار... وأصبحت في محشر من الأعياد، قلت في نفسي: الهرب رأس الحكمة، فسافرت الى غرناطة... وأقمت أسبوعا ووددت لو كان أشهرا... لولا دف العيد وزمره. فقد صادف أن زيارتي كانت الربيع، ولم يكن أهل غرناطة قد أقاموا بعد مهرجان أيار، عيد الأندلس العظيم... وكنت شاهدت في اشبيلية فاتحة ذا المهرجان... وهربت منه كما قلت، ولكن ويل للهاربين، فانه لحقني بخيله ورجله... فهربت ثانية... ولكن ما كدت أنزل إلا ورب العيد والأغاريد والكابوس العنيد..." عيد بأي حال عدت يا عيد "...ألا مهرب منك في بلاد الأندلس!"[2]وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن الريحاني وقف متعجبا لكثرة هذه الاحتفالات والأعياد التي يقوم بها أهل هذه البلاد مستحسنا لها مرة ومستنفرا لضجيجها وحركتها مرة اخرى.

المبحث الثالث: صورة الفاتحون والقادة المسلمين

لقد مرّ على الوجود العربي في الأندلس العديد من الشخصيات الإسلامية البارزة و كان الفاتحون هم أقرب المسلمين عهدا بزمن النبي محمد صلى الله عليه و سلم يخبر الريحاني أنّ موسى بن النصير " عبر المضيق بعد طارق بسنتين بذلك الجيش من وجهاء العرب و عرفاء البربر ، و معهم واحد من أصحاب النبي محمد عمره مائة سنة و كثيرون من أبناء الصحابة "[3]،وقد كان أكبر مقصد لهؤلاء هو الجهاد لأجل تبليغ رسالة التوحيد و دعوة الناس إلى الإسلام من غير إكراه و إجبار يقول الله تعالى :" ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا

[1] _نفس المرجع ، ص112.

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ص114-115.

[3] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 51

تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ "[1] و لذلك كان التوفيق و النصر حليفهم " كان الإيمان قوة العرب الغالبة في بداية أمرهم "[2]. بالرغم من الفترة الوجيزة المعجزة لأن " الحافز في الفتح كان قوة الإيمان" الحق أنّ الإسلام خطا بمعتنقيه خلال القرن الأول بضعة القرون إلى الأمام ...."[3]

المطلب الأول : موسى بن نصير

ومن المشاهد التي تعبر عن عظمة هؤلاء الفاتحين ما ذكره الريحاني في وصف موسى ابن النصير يقول : " كان موسى بن نصير اللخمي الحجازي كبير الهمة ، عظيم الخلق ، طموحا شجاعا ، شديد الإيمان و الإرادة ، هو فاتح المغرب ومدّوخ البربر ....علّمهم موسى الّإيمان و الطاعة و الإخلاص باسم الله و الرسول"[4].

و أعطانا الريحاني صورة دينية أخرى لهذا القائد العظيم في آخر حياته " و ذكر في وفاة موسى أنّه حجّ مع الخليفة سليمان ، فلما وصلا إلى المدينة قال لأصحابه: ليموتن بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق و المغرب و كان موسى ذلك الرجل "[5] و يتجلى المظهر الديني في زيارة الأماكن المقدسة ، و تأدية شعيرة الحج.

المطلب الثاني: أمراء المرابطين و الموحدين

1. يوسف بن تاشفين:

ومن موسى بن النصير ينقلنا الريحاني لقائد العسكري المرابطي ، الذي استعجل لنجدة المسلمين في الأندلس " فكتب بعض ملوك الطوائف إلى بطل المغرب يوسف ابن تاشفين يستظهرونه على العدو... فجاز يوسف بجيشه المضيق... فهزم النصارى شر هزيمة

---

[1]_ سورة البقرة، الآية 193.

[2]_ أمين الريحاني / نور الأندلس ، ص 108

[3]_راغب السرجاني، نشر بتاريخ(27-02-2011)،(طارق بن زياد وموسى بن النصير ،لقاء الابطال)، التاريخ الإسلامي ،تم الإطلاع عليه بتاريخ(2022/05/30)موقع قصة الإسلام www.isiamstory. com

[4]_ أمين الريحاني ، نور الأندلس ، ص 50-51

[5]_امين الريحاني ،نور الاندلس، ص 53

..."[1] و كان يوسف إضافة غلى كونه قائدا عسكريا ن كان رجلا ملتزما متمسكا بهدف الجهاد الأسمى ، و مستشيرا لعلماء الدين و الفتوي " و قد كان يوسف على ما يظهر قانونيا ، فاستفتى علماءه في فتح الأندلس و الإستلاء عليها لإنقاذ المسلمين فيها من فساد ملوكهم ، فقال العلماء أنّ ذلك جائز بل واجب ..."[2] فكان فتحه للأندلس نصرة للمسلمين و دعوة إصلاحية لهم " قام المرابطون بدعوة دينية تطهيرا لما اعترى الإسلام من الفساد و نشره ما تفش في الأندلس ، فأفتى علماء المغرب بفتحها ، و انتزاعها من يد العرب " المتساهلين في دينهم ..."[3] و هنا يجدر بنا أن نعرج إلى مذهب المرابطين حيث كان هذا المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة المرابطية الذي " كان قائما على مبدأ منع التأويل و تفسير المتشابه من الآيات القرآنية و تحريم علم الكلام في كافة مدارس الدولة و اهتم هؤلاء الفقهاء بكتب الفروع(فروع الإمام مالك) إذ عملوا بمقتضاها و نبذوا ما سواها حتى تناسوا الخطر في كتاب الله و سنة نبيه "[4] فأصبح بهذا " مذهب المرابطين قائما بالتفسير اللفظي الحرفي للقرآن ، فيقفون عند ظواهر المعاني و لا يتعدونها، فاهتموا بالتجسيم ، أي أنّ الله جسم على صورة إنسان ، و هو نظريا عين الكفر ، أما عمليا فقد كان المرابطون من الغلاة في الدين، بل التدين ، فعدوا تساهل الأمويين من المفاسد التي جاءوا لإصلاحها "[5] و قام المرابطون بإعلان " حربا على البدع و الخرافات ، فحطموا دنادن الخمر ، و كسروا آلات الطرب، و طالبوا النّاس بالقيام بفروض دينهم ..."[6] و ظل هذا المذهب قائما في الأندلس ما يقارب النصف القرن إلى أن ظهرت دعوة دينية جديدة مضادة للمذهب المرابطين ،

---

[1]_ أمين الريحاني، نور الأندلس ص 86

[2]_ نفس المرجع، ص 86

[3]_ نفس المرجع، ص 87.

1_أسامة عبد الحميد حسين " فقهاء الدولة المرابطية و إحراق كتاب الحياء العلوم " الغزالي مجلة السرة مان را، العدد1، جامعة سامراء، ص 101-91 .

[5]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 87.

[6]_ عدة الشيخ" الدعوة الدينية المرابطية أسسها و خصوصياتها و أثرها في في قيام الدولة " مجلة إحياء ، المجلد2، العدد27، كلية العلوم [6] الإنسانية ، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف بتاريخ 2020/11/27، ص 564.

بقيادة الفقيه، عبد الله بن تومرت و هي دعوة الموحدين " ففي أواسط القرن الثاني عشر قام الموحدون يتهمون المرابطين لما كان المرابطون يهتمون به ملوك الطوائف ..." وهم التابعون لاثنين من كبار المغاربة العرب كبار النفوس و الهمة ... أحد هؤلاء الاثنين هو محمد بن تومرت السوسي ... و الآخر هو عبد المؤمن بن علي الفخاري..."[1] وقد كان أساس مذهب الموحدين هو " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر" ونبز هذا المذهب من خالف هذه العقيدة بالتجسيم و أباح دمه

2. "محمد بن تومرت السوسي":

قائد الدعوة و الدولة " ابن خادم القناديل في مسجد قريته ، و قد اشتهر منذ صباه بالتقوى و التعبد، ثم ادعى أنه شريف علوي ، و لقبّ نفسه بالمهدي ، فشاع أنّه صاحب كرامات و قيامات يؤولها بالقيام بأمر الله ، فمن عجائبه أنّه شرب البحر مرتين، و أمر الجبل فجثا معه لله تعالى... باشر الدعوة للتوحيد و التطهير الإسلام من الأرجاس."[2] و لم تكن دعوة بن تومرت مسندة إلى أي مذهب موجود قبلها ، فقد قام بابتكار مذهب ديني جديد " و هو مذهب يرتكز على مجموعة من الأسس و القيم و الاختيارات التي انتقاها من مجموعة من المذاهب و التيارات الفكرية الإسلامية المشهورة ليعطينا مذهبا خاصا و هو " مذهب الموحدين " فقد أخذ من الشيعة فكرة العصمة المطلقة للإمام ، و اقتبس من الخوارج لاعتقاد القائل بحتمية المخالفة وضرورة الثورة على الحاكم الجائر... و هي دعوة باطلة عقلا و نقلا"[3]وكان له العديد من الاتباع على رأسهم طالبه عبد المؤمن الكومي.

[1] _أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 87.

[2] _نفس المرجع ، ص 87.

[3] _سحبان عثمان (1015،2019) المهدي بن تومرت... كيف وظف الدين لبناء دولة الموحدين تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/05/25 https://www.aljazeera.net

3. "عبد المزمن الكومي" :

و قد تبعه في ذلك طالبه عبد المؤمن بن علي فمذهبه " جامع الأشياء من شتى المذاهب الإسلامية ، منها الأشعرية و المعتزلة، و منها الرجوع إلى الكتاب و السنة و إجماع الصحابة، مع ترك الرأي و القياس ، و قد عاد إلى تأويل ما اشتبه من الآيات و الأحاديث ، دون التفسير اللفظي، لأن الاعتقاد في ظاهرة الآية قد يبعث إلى التجسيم ، و هذا ينافي صفات الكمال اللازمة للربوبية لذلك كفّر المرابطين ودعاهم بالمجسّمة و يعد عبد المؤمن الكومي زعيم الموحدين و مؤسس دولتهم بعد وفاة بن تومرت ، حيث " شهد عصره حركة إصلاح اجتماعي ، فحارب المنكرات بلا هوادة ، و اشتد في محاربة الخمر و إنزال العقوبة على شاربيها و كان حريصا على أن تقام الصلوات في مواقيتها ، و أن تجمع الزكاة و تصرف في مصارفها الشرعية "[1] فقد تبنى في مذهبه إلى الدعوة " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أضاف إليها في الأمانة النظرية الشيعية الإثني عشرية، فجاء مذهبه مركبا .. من شراذم المذاهب المتناقضة "[2] و بالرغم من هذا المذهب المركب إلا أنه كان رجلا شديد الغيرة على الإسلام و المسلمين.

ومن خلال هذه النماذج قدم لنا الريحاني صورة إيجابية عن قادة الفتح الأول الذين حملوا رسالة الإسلام خالصة ، فالإسلام هو من وحدّ صفوفهم ، و صورة أخرى لظهور المذاهب و الطوائف الدينية و التي تشير إلى الضعف و التفرقة بالرغم من انتصارها الآفلة.

المبحث الرابع: المعاملات الدينية

إنّ ما جاء في الشريعة الإسلام السمحاء، إظهار التلطف و البر و المعاملة الحسنة و الإقساط مع غير المسلمين المسالمين يقول قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ

[1] _المعرفة ،عبد المؤمن علي الكومي أبو أحمد مؤسس دولة الموحدين ، تم الإطلاع عليه بتاريخ:(2022/5/25)موقع httpos://marefa.org

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 88

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ "[1]،كما أمرهم بالمجادلة الحسنة﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2]

وقد استوجب عقد الذمة مع المسلمين، دفع جزية مقابل الكف عنهم و حمايتهم " و كانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني ، فكان لابد أن يدفعها الرجل القادر على حمل السلاح لا يدفعها ذووا العاهات و لا المترهبنون و لا أهل الصوامع ..."[3] ومن منطلق شريعة الإسلام كانت المعاملة سمحاء قائمة على العدل و التسامح وقد جاء في نص الرحلة للريحاني ، تحديد لنوعين من الذميين النصارى و اليهود.

المطلب الأول: معاملة المسلمين للنصارى

اتصف المسلمون بالتسامح و العدل مع النصارى ، و من ذلك أنّ طارق ابن زياد " خيّر الغوط أهلها في واحدة من ثلاث نعم، فمنهم من فادوا بآريوس وروما و دخلوا في الإسلام ، و منهم من فرّوا هاربين ومنهم من دفعوا الجزية ، و أقاموا و المسلمين في طليطلة آمنين مطمئنين "[4]و بهذا يكون النصارى على صنفين ، صنف دخل في الإسلام و صار له ما للمسلمين و عليه ما عليهم، و سموا بالأسالمة أو المسلمين الجدد ، أما الصنف الثاني فهم المعاهدون و أهل الذمة ، و قد عاشوا مع المسلمين كتلة واحدة ، و قد اشترط المسلمون على النصارى الإحسان لليهود " وثبت قدم العرب في طليطلة فبنوا المساجد ، و أنشئوا المدارس و المعاهد الصحية لهم و لإخوانهم الجدد و الذميين ، ثم قالوا لأولئك الذميين قولا صريحا يؤيده بالسيف الناطق في غمده : أنتم في ذمة الإسلام ، و هؤلاء اليهود في ذمتكم أبناء بلدكم و إخوانكم ، فأحسنوا إليهم نحسن إليكم "[5] ومن ذلك الإحسان

---

[1] _سورة الممتحنة، آية 8

[2] _ سورة العنكبوت، آية 46

[3] _ آدم ميتر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، أو عصر النهضة في الإسلام،ط5، (ترجمة) محمد عبد الهادي أبو زيد ،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص 101

[4] _ أمين الريحاني ، نور الأندلس، ص 64.

[5] _امين الريحاني ، نور الاندلس ، ص 64.

أن " نشأ في طليطلة جيل من الناس يتكلمون بالسان العربي ، و يكتب النابغون منهم الكتب و ينظمون القصائد باللغة العربية، فآكلوا المسلمين و شاربوهم ، و شهدوا أنهم من خير النّاس و بما أنهم لم يشهدوا غير ذلك سمو موزارب"mozarabe" أي مستعربين"[1]و قد تحدث أرسلان عن طليطلة فذكر " أنها بقيت في أيدي العرب لأربعة قرون ، و غلبت العروبة على أهلها من النصارى فلبثوا على دينهم ، و لكنّهم اتخذوا اللغة و الثقافة العربية لأنفسهم و كانوا يقيمون صلواتهم و طقوسهم الكنسية باللغة العربية و القوطية "[2] وهذا راجع لعدم إكراههم على الإسلام ، ففي الإسلام لا إكراه في الدّين.

و لم يقتصر نتائج هذه المعاملة السمحة من المسلمين للنصارى المعاهدين على الاستعراب فقط، بل إنهم تأثروا بالثقافة الإسلامية أيضا حيث " كانوا ينظمون أكلاتهم وفق العادات الإسلامية ، من ذلك أنّهم امتنعوا عن أكل لحم الخنزير ، و اتبعوا بصرامة عادات أخرى غريبة تماما على المسيحية ، كنزع الصور من داخل الكنائس سبب التأثير الإسلامي "[3] و قد بلغ التعايش بينهم أن كان " بعض رجال الدين و القساوسة و القضاة من النصارى يحملون أسماء عربية دون حرج أو تعقيد ... و أخذوا معها يختتون أولادهم، و يطبقون نظام الحريم في بيوتهم ..."[4] و من مظاهر التعايش " احتفال المسلمين و مشاركتهم النصارى أعيادهم و مواسمهم الدينية بتبادل الهدايا معهم، و كان ذلك أمرا عاديا في الأندلس... فقد عرف عن السلطات الإسلامية تشبثها بالعدل و التسامح اتجاه رعاياها من غير المسلمين ، و هو ما ساهم في سيادة أجواء سهلت بيسر تعايش جميع الفئات في

[1] _نفس المرجع، ص 64.

[2] _ شكيب أرسلان، العلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت،ج1، ص 364.

[3] _ينظر محمد أمين ولد أن ، أطروحة دكتوراه، ص 144.

[4] _ رجب محمد عبد العليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية،دار الكتاب المصري ، القاهرة ن دار الكتاب اللبناني ، ص 70.

إطار علاقات تطبعها المودة و الاحترام " [1]" و مما لا ريب فيه أنه كان أسعد زمان من الأزمنة هذه المدينة ، فازدهرت الثقافة العربية و العبرية .. طليطلة السعيدة بنت قرطبة السعدى ..."[2] و هكذا دواليك كان بين جميع سكان الأندلس وقتها، و هذا لا ينفي وجود بعض الاضطرابات خاصة أوقات الحروب و الأزمات.

إن هذه الشهادات دليل على حسن المعاملة النصارى و التحقيق العدل مما جعل جعلهم يتخلقون بأخلاق الفاتحين المسلمين، و لم يكن ذلك من باب تقليد المغلوب للغالب .

المطلب الثاني: معاملة النصارى لليهود

لقد شكل اليهود طبقة قليلة من حيث العديد في اسبانيا الغوطية و قد أخد ملوك الغوط سواء في عهدهم الآريوسي أو الكاثوليكي يضطهدونهم " و أولئك الغوط النصارى المتشعثة شعورهم الساجية عيونهم اللطيفة الحاظ ، كانوا يتسلون بتعذيب اليهود، و يتقربون من الله و قدميه بأموال يبتزونها من " شعب الله الخالص "[3] و قد " أيدهم في ذلك رجال الكنيسة من المتعصبين للكاثوليكية و اتهموا اليهود بتآمر على سلامة الدولة ، فزاد من ذلك من اضطهاد الغوط لهم "[4] و لم يكن هذا اسبب الحقيقي و إنما الاختلاف العقائدي كون اليهود خالفوا النصارى في عقيدة التثليث.

كما أنهم سعوا إلى تنصيرهم بالإكراه، حيث يشير الدكتور "عنان محمد عبد الله" إلى أن " الكنيسة في عهد الغوط سعت منذ اشتد ساعدها و نفوذها إلى محاولة فرض التنصير على اليهود ، ففي عصر الملك سيزوت فرض على اليهود التنصير أو النفي أو المصادرة، فاعتنقت كثي منهم المسيحية كرها و رياء ، و في عهد الملك القوطي "وامبو" ... واصل

[1]_محمد الأمين ولد أن (النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، 422-539ه/1030م-1441م) ، أطروحة دكتوراه ، في تاريخ المغرب الإسلامي ، قسم تاريخ و علم الآثار ، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، عام 2012-2013، ص 145

[2]_ أمين الريحاني ، نور الأندلس ، ص 64.

[3]_ أمين الريحاني ، نور الأندلس ، ص 64.

[4]_ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية، بيروت، 1408 ه، 1988م ن ص 65.

نهج أسلافه حيث أقسم بالتصنيف على اليهود و أمر بطرد من لم ينتصر منهم خارج البلاد فهرب كثيرون منهم "[1] و هناك من الملوك من لجأ إلى سياسة الترغيب كالملك إنجيكا "و هي منح امتيازات لكل يهودي يعتنق النصرانية ، و من يبقى على ديانته تصادر ممتلكاته"[2] و غيرها من القرارات الظالمة في حقهم ممّا تسببت في نقمة وحقد اليهود على هؤلاء النصارى.

و يروي الريحاني أن التعصب و الاضطهاد نحو اليهود بقي حتى الزمن الجديد ، و أنهم أسوء من أجدادهم " بل كانت العيون في الزمان الجديد حمراء جاحظة باسم الدين الصحيح ، دين المسيح، .... جددّوا في النّاس الثغرة الدينية الخبيثة ، نعرة تعصب هو الاضطهاد ، فكان اليهود أول المضطهدين – أجل قد عاد الناس إلى تقليد أجدادهم الغوط–، إلى تعذيب اليهود فيسخرون و يبصلون و يسامون أنواع الذل و العذاب باسم الدين الصحيح، دين المسيح "[3]،وبهذا كانت شريعة الاسلام هي الاقسط والاعدل في المعاملة.

المطلب الثالث: معاملة المسلمين لليهود و موقف اليهود منهم

لقد جعلت سياسة الاضطهاد و الاستبداد التي تعرض لها اليهود على يد الغوط، يستغلون قدوم المسلمين الفاتحين و يرحبون بهم، ذلك أن المسلمين خلصوهم من الوضع المزري جراء الاضطهاد الكنسي " ثم قالوا لألئك الذميين قولا صريحا أيدوه بالسيف الناطق في غمده ، أنتم في ذمة الإسلام ، و هؤلاء اليهود في ذمتكم أبناء بلدكم و إخوانكم فأحسنوا إليهم نحسن إليكم "[4].

[1]_ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3، 1408-1988، ص 31.

[2]_ محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية، القاهرة، العدد، 237، ص 17.

[3]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 65.

[4]_ امين الريحاني، نور الاندلس ،ص 64

وكما أحسن المسلمون للنصارى ، أحسنوا لليهود و نصروهم " و قد رفع المسلمون الفاتحون الاضطهاد عن اليهود وعاد معظم المنصرين إلى دينهم و تعامل المسلمون معهم وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة ، فسمحوا لهم بممارسة شعائرهم ومزاولة نشاطهم. فعرف اليهود عدلا لم يعيشوه في ظل الإمبراطورية الرومانية النصرانية أو في ظل حكم الغوط الكاثوليك فكان منهم من اختلط بالمجتمع الإسلامي ، ومنهم من فضل الحياة أحياء خاصة "[1] يقول الريحاني في ذلك " تنفس بنو إسرائيل الصعداء ، و رفعوا الصلوات إلى ربهم يهوه، ليكلأ الإسلام و المسلمين ، و شرعوا بعد ذلك يصلون بلغة الفاتحين ، سبحان رب العالمين "[2] ، ذلك أنّهم " رأوا أنّ العناية الإلهية قيضت لهم منقذين هم الفاتحون العرب الذين فرضوا عليهم جزية تافهة وردوا لهم حريتهم و سمحوا لهم بممارسة شعائرهم"[3] .

و يؤكد المؤرخون أن اليهود في إسبانيا شجعوا المسلمين على دخول إسبانيا و قدموا لهم العون من ذلك عندما فتح طارق طليطلة " كان يمشي أمامه أبناء إسرائيل أدلاء أوفياء، فيصدقونه الخبر فيما كان عامرا من البلاد و خصبا من الأرض "[4] و يؤكد جوزيف رينو أنّ من " العوامل التي ساعدت على الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس وجود أقلية من اليهود الذين رحبوا بالفاتحين العرب و كان العون الذي قدموه للفاتحين بدافع الثأر لشرفهم و كرامتهم المهانة من قبل الغوط النصارى "[5].

و يرجع هذا الترحيب إلى " تلك الأخبار التي وصلتهم عن يهود المغرب الذين كانوا يتمتعون بحرية التنقل و حرية العقيدة في ظل قانون أهل الذمة "[6] و بهذا يكون اليهود قد

[1] _ فاطمة بوعمامة ، موقف اليهود من الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس" المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، ص 64.

[2] _ أمين الريحاني ، نور الأندلس، ص64

[3] _دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، ج1، المسيحيون المولدون ، القاهرة، 1998، ص 25

[4] _ أمين الريحانين نور الأندلس، ص 64.

[5] _ جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية ، فرنسا و إيطاليا و سويسرا ، تعريب و تعليق و تقديم اسماعيل العربي دار الحداثة بتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، بيروت ،1984ن 41ص

[6] _ فاطمة بوعمامة " موقف اليهود من الفتح الإسلامي " ، ص 78.

استفادوا من الفتح الإسلامي للأندلس ، كما أنهم قدموا تعاون أثر على تقوية الروابط بينهم و بين المسلمين.

المبحث الخامس : التنظيمات الدينية

يعد الدين في المجتمعات الركيزة أساسية تساهم في تكوين شخصية الإنسان وضبط سلوكه و توجيهه تفكيره " لذلك فالنظم الدينية موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، لأنها تسد حاجات اجتماعية هامة فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد كما أن الدين يؤدي دورا هاما في تكامل المجتمع عن طريق شعائره التي يحمي النسيج الاجتماعي من التمزق "[1] و نظرا لأهمية الظاهرة الدينية لدى المجتمعات اهتم الريحاني في رحلته إلى اسبانيا بنقل مختلف المشاهد و العادات و الطقوس الدينية ، إضافة إلى الموقف على أهم المعالم و الأماكن المقدسة ، مشيرا إلى بعض المشاهد الدينية التي لاقت إعجابه و إلى البعض الآخر التي استنكرها

ولقد مرّ على أرض إسبانيا العديد من الديانات : الوثنية و المسيحية و الإسلام ، ثمّ تعود المسيحية مرّة أخرى ، يقول الريحاني واصفا هذه التغيرات على القصر القديم " و قد تغير في إسبانيا ثلاث مرات في ألف سنة ، فكان وثنيا رومانيا ، و كان مسيحيا غوطيا ، و كان مسلما عربيا، ثم عاد مسيحيا كاثوليكيا، و هذا طبيعيا لأن المسيحية الغوطية لعنتها روما ، و روما أم أسبانيا منذ القديم فطبيعي أن تكون مسيحيتها كاثوليكية مقدسة"[2] و أغلب سكان إسبانيا اليوم من المسحيين الكاثوليك .

المطلب الأول: المشاهد الدينية

ركزت الرحلات على نقل العلاقة المتبادلة بين المكان و الإنسان حيث تناولت هذه العلاقة من خلال صور الحياة الاجتماعية و الدينية ، وقد كان المشهد الديني حاضرا

[1] _ عبد الحميد لطفي ، علم الإجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2018، ص 93.

[2] _ أمين الريحاني، نور الأندلس، ص 106.

في رحلة الريحاني حيث رصد لنا العديد من المشاهدات التي تتناول أداء و ممارسة و تفاعلا " هي إشبيلية تتأهب لمهرجانها الأكبر، مهرجان الأسبوع المقدس، المهرجان المنقطع النظير في العالم المسيحي ، بل في العالم أجمع فمن أحد الشعانين إلى أحد الفصح... هو أسبوع الآلام عند نصارى الشرق ، و الأسبوع المقدس عند الأوروبيون "[1] و يصف الريحاني العديد من المشاهد الدينية في هذا المهرجان " و في ذلك اليوم يسمع "الميزاريرة" ، نشيد الموت على الأرغن الكبير في الكنيسة الكبرى و شغل في اليوم التالي – أي في سبت النور – شمعة العديد الجبارة ...كدت أنسى حفلة الغسل ... تقام يوم الخميس في وسط الكنيسة، فيشهدها ألوف من الناس... هو ذا مشهد من المشاهد الدينية، يمثله الأساقفة و الكرادلة وبضعة صبيان فقراء، فيغسل كبير الكرادلة أرجلهم و الناس في خشوع. ثم يمشي أمراء الكنيسة المتصنعون في موكب بطيء ، و هم يريدون كلمات لاتينية ، ... تدل على ما يصدر كل منهم من حماسة أو فتور " تديوم لودامس " [2] مثلا و أغلبية الأعياد و المهرجانات في إسبانيا مرتبطة بأحداث وقعت للمسيح " ولهذا وجد النصارى في ثرائهم الديني الغني بأحداثه مناسبات عدّة لاستذكار الماضي ، و ربط ذاكرة أجيالهم الجديدة برموزهم و مقدساتهم الدينية "[3] وقد بقيت هذه الموروثات الدينية حاضرة و قائمة ن رغم العهود الحكم الإسلامي فيها كون أنّ السلطة الإسلامية لم تتدخل في شيء من أمورهم و سمحت لهم بممارسة الشعائر و الطقوس أثناء تلك الاحتفالات بجو من الحرية و التسامح، و حضور المسلمين فيها، ومن هذه الأعياد الدينية " الأعياد السبعة ، فأول يوم منها إن بشر جبريل الملك مريم بميلاد المسيح [عيد البشارة] ، و اليوم الثاني إذ ولد المسيح [عيد الميلاد المسيح] ، و اليوم الثالث إذ ختن إلى ثمانية أيام ، و الرابع إذ ظهر

[1]_ أمين الريحاني، نور الأندلس، ، ص 19-20.

[2]_ نفس المرجع، ص 20-21.

[3]_ محمد الأمين، ولدأن ، ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ و علم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، الجزائر، عام 2012-2013، ص 101.

للهجين .... و هو يوم النجم، و الخامس يوم الفصح، إذ قام عند القبر [عيد الفصيح] و السادس إذ تخطفه السحابة ، و الرقي إلى السماء بمحضر الحواريين ، و السابع إذ نزل روح القدس على الحواريين و تكلموا بجميع الألسن "[1] و إضافة إلى هذه الأعياد قدم لنا الريحاني صورة دينية أخرى للأبطال طليطلة أثناء الحصار " هي بطولة المسحيين الأولين، فرائس السباع بروما، هي البطولة التي تجاوز حد الشجاعة الجسمانية، لأن منشأها العقيدة و الإيمان، و قد تجلت في أولئك الإسبان... فكانوا جميعا قلبا و روحا واحدة مع .. قائدهم مسكردو، ذلك الأب الروماني وابن هذا الزمن العجيب ... " [2] ، ويقدم الريحاني صورة لقوة الإيمان و عقيدة الفداء " فسمع المحاصرون القداس واعترفوا وتناولوا القربان المقدس وعمدت أم طفلها ابن شهر– ولد في ذلك الحصار – و هي تقول : فدية لمن فدانا بدمه على الصليب وفدية لإسبانيا "[3] حيث تجلت روح الدين و الوطنية.

المطلب الثاني: رجال الدين

لقد كان لرجال الدين في الأندلس مكانة رفيعة و تعاملا حسنا من قبل السلطة الإسلامية و يرجع ذلك " للدور الذي لعبه هؤلاء في تنظيم و إدارة شؤون أبناء طائفتهم ، فقد كانت الجماعة النصرانية بحاجة إلى قساوسة و رهبان لعقد الطقوس و الصلوات الدينية وتعميد أبناء النصارى "[4].و بالإضافة إلى دورهم في خدمة رعيتهم " شكلوا وسيطا بينهم مع السلطة الإسلامية و هو ما أشارت إليه جلّ المصادر التي تم استنطاقها "[5] بل و كان تأثيرهم أكبر من ذلك في الممالك المسيحية حيث أنّ جلّ القرارات السياسية في حكم كانت خاضعة لسيطرتهم " قال المؤرخون إنه ليس من حادث في تاريخ اسبانيا في

[1]_ شمس الدن محمد بن أحمد القرطبي ، الإعلام كما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، تحقيق ، أحمد حجازي السقار دار التراث العربي، القاهرة 1980م، ص 424-425

[2]_أمين الريحاني ، نور الأندلس ، ص 69

[3]_ نفس المرجع، ص 14.

[4]_محمد أمين ولد أن (النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين) ، ص 42.

[5]_ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص44.

القرون الوسطى إلا و لأساقفة طليطلة يدا فيه إن خيرا أو شرا" [1] فقد حافظوا على علاقاتهم خارج الأراضي الإسلامية و يصف الريحاني رجال الدين ، بعد سقوط طليطلة على يد الملك ألفوس السادس يقول " فتغيرت روح طليطلة ... و عادت إليها الشعور الشعثة دون العيون الناعمة اللحاظ ، بل كانت العيون في الزمان الجديد حمراء جاحظة باسم الدين الصحيح، دين المسيح ، فتركزت السيدة فاشتهر فيها أصعاب الأرجوان ذو القلنسوة منهم و ذو العراقية الحمراء ، الأساقفة و الكرادلة ، أولو الأمر و النهي ، فكانوا دولة ضمن دولة ... فجددوا في الناس الغرة الدينية الخبيثة نعرة التعصب و الاضطهاد ، فكان ، اليهود أول المضطهدين ... باسم " الدين الصحيح ، دين المسيح " [2] فرجال الدين هم من كانوا يسيطرون على الحكم في العصور الوسطى.

ومن رحم التعصب و الجهل كذلك ارتكبت جريمة أخرى باسم الدين في حق الإنكا "أتاوليا" عندما أعدموه خلال غزو الإسبان لأمريكا " لقد قدموا الجريمة بعمل مسيحي ، و كان الكاهن هذه المرة ممثل الدور الأول في الرواية "[3]، رواية الجريمة الدينية .

وعلى نقيض هؤلاء، أعطى الريحاني صورة أخرى للرجال الدين أثناء زيارته لدير "سيلوس " ومن مآثر رهبان الدير و الأساتذة، أنهم يعلمون اللاهوت في مدرسته اللاهوتية و يصنعون الخمر لا لتجارة بل لأنفسهم و للطلبة ، عونا على اللاهوت "[4] ذلك أنه في عقيدة النصارى " يقدم في القداس خبر " قربان" "خمر" يتحولون بالصلاة إلى جسد و دم الرب"[5].

كما يروي تواضع الأساقفة و الكرادلة أثناء حفلة الغسل التي أقيمت في إشبيلية يقول :"هو ذا مشهد من المشاهد الدينية يمثله الاساقفة و الكرادلة و بضعة صبيان فقراء،

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 65.

[2] _ نفس المرجع، ص 58.

[3] _نفس المرجع ، ص58.

[4] _امين الريحاني ، نور الاندلس ، ص .94

[5] _ القمص اشعياء عبد السيد فرج ، مقدمة في علم اللاهوت الطقسي ، موقع الأنبا تكلا هيما توت تراث الكنيسة القطبية الأرثوذكسية –st takla–org

فيغسل كبير الكرادلة أرجلهم و النّاس في خشوع ثم يمشي أمراء الكنيسة المتضعون في موكب بهي ... "[1] و هو تقليد مسيحي في أيام الأسبوع المقدس .

كما أشار إلى خدمتهم للكنيسة " فالشمامسة ينظفون تماثيل القدسيين و القدسيات، و الكهان يخرجون الحلي من أسفاطها ..."[2]و من خلال هذه المقاطع نستظهر صورة إيجابية عن رجال الدين، و ترتبط هذه الصورة بما قدموا من خير أو شر، و بناء على ما سبق فإن الريحاني تطلع في رحلته إلى مختلف المظاهر الدينية الإسلامية منها و المسيحية والتي تمثلت في وصفه للأماكن و المعالم المقدسة و الشعائر و الطقوس الدينية و المعاملات بين المسلمين و المسيحيين و اليهود أيام الأندلس.

[1] _ أمين الريحاني، نور الأندلس ، ص 21.

[2] _ نفس المرجع، ص 19.

خاتمة:

بعد الدراسة التي أجريتها حول الأبعاد الانسانية في رحلة " نور الأندلس " لأمين الريحاني توصلت إلى مجموعة من النقاط أجملها فيما يأتي :

أن الرحلة فن وجد مع وجود الإنسان، و هي جنس أدبي جاء مصاحبا للأدب العربي، عبر مراحله المختلفة ليجمع بين الإفادة و الإمتاع، كما يتميز بالصدق في المحاكاة و نقل الواقع في العصر الذي ينتمي إليه.

استطاع الرحالة " أمين الريحاني " أن يوثق و ينقل لنا العديد من المشاهد التي وقع عليها بصره و هو يجوب ربوع إسبانيا و الأندلس فرصد لنا انطباعات و صور حقيقية عن شعب يختلف عنا لغة و ثقافة و فكرا... و إن كان تاريخ الفتوحات الإسلامية هو الرابط بيننا إذ لا يمكن تحاشيه وغض الطرف عنه.

عدّ الحضور العربي في " الأندلس " مكونا هاما من مكونات الخطاب الرحلي إذ يلتحم التواجد المعنوي للأندلس في ذات الريحاني ، ويرتحل إليه في جميع الفضاءات التي لها أثر عربي أو إسلامي فالجامع بين العربي و الإسباني هو ذلك التاريخ الطويل فقد أصبح فضاءا مألوفا للرحالة الذي يمثل " الأنا " و لكنّه في نفس الوقت مفقود إلاّ من خلال استذكار و استحضار الماضي و استنطاقه ، و من ثم اسقاطه في الحاضر و ربطه به.

من خلال تمازج نصوص الرحلة، حضر أمين الريحاني ، الرحالة ،و المؤرخ ،و الأديب ،و الفنان ،و العربي ،و المسيحي المتأثر بثقافة الإسلامية ، و صاحب النظرة الإنسانية الشاملة ليفتح خطابه على تعدد الرؤى ، و يحمل الكثير من السياقات إلى تحليل ضخامة هذا الفضاء ، و هو ما دلت عليه رحلة " نور الأندلس ".

تحتوي رحلة " نور الأندلس " على الكثير من المعلومات التاريخية و الاجتماعية و الدينية و الثقافية و السياسية... و غيرها حيث ركز على التاريخ في عرض المشاهد السياسية ، و على الوصف في عرض المشاهد الاجتماعية و الثقافية و الدينية .

كما اعتمد على الدقة و التركيز في ذكر التفاصيل ووصف الأماكن و المعالم الدينية و الفنية و أحيانا الشخصيات من أجل أخذ صورة دقيقة عن هذه الموضوعات .

لم يفارق الحضور العربي الريحاني طيلة رحلته ، إلاّ في بعض الأحايين ، و سرعان ما يعود إليه بين الماضي و الحاضر ، وبين الحنين و الحسرة، و لكنه يؤكد أنه عاد فرحا مغتبطا من هذه الرحلة .

تميزت رحلة أمين إلى الأندلس عن غيرها من الرحلات كونها كانت تحمل دعوة لنهضة الشعوب العربية ، و تنبيه للعرب المستعمرين إلى الاهتداء بالزمن الأندلسي العربي الذهبي و اجتناب الأخطاء التي وقعوا فيها من خلال محاورته مع الفيلسوف "ابن رشد".

وفي الأخير أتمنى من الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ، و التي مازال ميدان البحث فيها يحتاج إلى جهود الباحثين و المهتمين لأجل إثرائها، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم.

القرآن الكريم:

-سورة البقرة، الآية 193.

-سورة العنكبوت، آية 56.

-سورة الممتحنة، الآية رقم 08.

المصادروالمراجع:

- أمين الريحاني، نور الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة جمهورية مصر العربية، 2012/08/26.

الكتب:

1. إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء، المغرب، عام 1962.
2. ابن بصال، كتاب الفلاحة، ترجمة، محمد عزيمان، تيطوان، المغرب، معهد مولاي حسن، 1955.
3. ابن عذاري المراكشي، البيان في المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1967.
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، ط1، دار الجبل، بيروت، سنة 1411هـ - 1991م.
5. ابن منظور معجم لسان العرب، ج1، دار صادر ودار بيروت للطبع والنشر.
6. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس، حققه إحسان عباس، ج 4، دار صادر، بيروت، سنة 1968.
7. أحمد شحلان، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تنسيق سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1999.

8. أحمد شحلان، مكوّنات المجتمع الأندلسي، للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999.
9. آدم ميتر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، أو عصر النهضة في الإسلام،ط5، (ترجمة) محمد عبد الهادي أبو زيد ،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1.
10. جميل جبر، كتاب الريحاني سيرته وحياته،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،ط1،سنة 1942 م .
11. جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية ، فرنسا و إيطاليا و سويسرا ، تعريب و تعليق و تقديم اسماعيل العربي دار الحداثة بتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، بيروت ،1984.
12. حسين إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، عام 1939م.
13. دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، ج1، المسيحيون المولدون ، القاهرة، 1998.
14. راغب السرجاني، الأندلس من الفتح إلى السقوط، المكتبة الشاملة الحديثة مؤسسة اقرأ، ط 1، سنة 2011م.
15. رجب محمد عبد العليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية،دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني.
16. رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم، حسن حبشي ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414 هـ/ 1994م.
17. سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، ج2، الإسكندرية، 1960.

18. سامية مصطفى سعد، الوراقة والوراقون في الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000.

19. سعيد يقطين .السرد العربي مفاهيم وتجليات،منشورات الاختلاف.الجزائر.ط.2012.

20. سعيد يقطين، **الرواية والتراث السردي**، من أجل وعي جديد بالتراث، دار الرؤية، ط1، دار البيضاء، المغرب، 2006.

21. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية، بيروت، 1408 هـ، 1988م .

22. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي.التجنس.آليات الكتابة.خطاب المتخيل ط1.الهيئة العامة لقصور الكتاب.مصر2002.

23. شكيب أرسلان، العلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت،ج1.

24. شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي ، الإعلام كما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، تحقيق ، أحمد حجازي السقار دار التراث العربي، القاهرة 1980م.

25. شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، دت.

26. عبد الجبار، د أشرف همداني، مكونات خطاب أدب الرحلات وخصائصه، مجلة القسم العربي، العدد 27، سنة 2020.

27. عبد الحليم عوسي، أربعون سبب من أسباب سقوط الأندلس، ط 1، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة عام 1994م.

28. عبد الحميد لطفي ، علم الإجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2018.

29. عبد الرحمن مودن، الرحلة المغربية في ق 19، مستويات السرد، الأهلية للنشر والتوزيع.عمان.الاردن.2006.

30. عبد العليم محمد إسماعيل علي ,تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة.

31. عبد المنعم جبور ، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1979م .
32. عيسى أبي الأصبغ ابن سهيل، مقدمة تحقيق كتاب الفتوى تحقيق الدكتور ،محمد ابو الاجفان، رقم 7.
33. كمال السيّد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، القراءة مركز الإسكندرية للكتاب ،قراءة من المصدر.
34. لسان الدين ابن خطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنّان، مكتبة، الخانجي، ج 1، القاهرة، 1937.
35. مايسة محمود داوود، الكتابات العربية على للآثار الإسلامية، دار الملتقى، بيروت 2000 .
36. مجدي وهبة وكامل المهندي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1984م.
37. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول (من الفتح إلى بداية عهد الناصر)، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، سنة 1997 .
38. محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3، 1408-1988.
39. محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
40. مؤلف مجهول، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ،منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999.

المذكرات:

1. عبد الله بن أحمد بن حام آل حمادي، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، بحث ماجستير، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية 1997.
2. محمد الأمين ولد أن (النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، 422-539هـ/1030م-1441م) ، أطروحة دكتوراه ، في تاريخ المغرب الإسلامي ، قسم تاريخ و علم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، عام 2012-2013.

مجلات ومقالات:

1. أحمد شحلان، مكوّنات المجتمع الأندلسي ومكانة أهل الذمة فيه، كلية الآداب، الرباط، الزهوانية، الجمعة، 2013/11/22.
2. أسامة عبد الحميد حسين " فقهاء الدولة المرابطية و إحراق كتاب الحياء العلوم " الغزالي مجلة السرة مان را، العدد1، جامعة سامراء.
3. إغناثيو غوتيريث دي تيران:«اللغة العربية والنقوش والآثار المكتوبة في إسبانيا»، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، العدد 3.
4. إقبال التميمي، محطات تطور الأدب الإسباني، 2006/03/15، موقع إيلاف تم الإطلاع عليه، 2022/05/25:https://elaph.com
5. التاريخ الإسلامي (21/08/2019)« السيد الكمبيادور»... البطل الزائف الذي تلاعب لملوك الطوائف، تم الإطلاع عليه بتاريخ (18/05/2022) موقع قصة الإسلام، إشراف الدكتور راغب السرجانيhtpps.//www.islamstory.com
6. راغب السرجاني، "الأندلس من الفتح إلى السقوط – الفترة الثانية في الدولة الأموية في الأندلس وسبب ضعفها"، موقع طريق الإسلام بتاريخ 18 / 2022/01.

7. راغب السرجاني، عصر الولاة في الأندلس، التاريخ الإسلامي، قصة الإسلام بـ 27 /2011/02.

8. راغب السرجاني، (طارق بن زياد وموسى بن النصير ،لقاء الأبطال)، التاريخ الإسلامي ،تم الإطلاع عليه بتاريخ(2022/05/30)موقع قصة الإسلام:**com** **www.isiamstory.**

9. سلسبيل صيام،(12/09/2018)، كيف كان دور المرأة الأندلسية في المجتمع المسلم، تم الإطلاع عليه في (18/05/2022) موقع الجزيرة نت blogs : **https ://www.aljazeera.net**

10.شحبان عثمان (1015،2019) المهدي بن تومرت... كيف وظف الدين لبناء دولة الموحدين تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/05/25 : **https://www.aljazeera.net**

11. عبد الجبار، د أشرف همداني، مكونات خطاب أدب الرحلات وخصائصه، مجلة القسم العربي، العدد 27، سنة 2020.

12. عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، عالم الفكر، م8، العدد 1، الكويت، 1977.

13. عدة الشيخ" الدعوة الدينية المرابطية أسسها و خصوصياتها و أثرها في في قيام الدولة " مجلة إحياء ، المجلد2، العدد27، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف بتاريخ 2020/11/27.

14. فاطمة بوعمامة ، موقف اليهود من الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس" المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة .

15. فوار الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف : إميل يعقوب، ط1، دار الجبل، بيروت، 1420هـ – 1999م، ص 197.

16.قاسم الحسيني، (2007)، الثقافة والمجتمع في الأندلس، الإنسان والمكان مطبعة بني يزن من الرباط تم الإطلاع عليه بتاريخ (20/5/2022) موقع المعرفة الأندلسية:**https://w.w.w.Elseber.andausi-ma**

17.القمص اشعياء عبد السيد فرج ، مقدمة في علم اللاهوت الطقسي ، موقع الأنبا تكلا هيما توت تراث الكنيسة القطبية الأرثوذكسية: **st-takla-org**

18.لحميدي،(2011/02/27) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 3، من 1 – 8، ينظر من مقال عصر الولاة في الأندلس لراغب السرجاني ،تم الاطلاع عليه بـ(2022/05/18)،موقع قصة اسلام:**htpps.//www.islamstory.com**

19. ما الأدب؟ تم الإطلاع عليه في(2022/4/4): **https://iugaza-edu.ps**

20. محمد الأمين بلغيث، (الفلاحة بالأندلس في عصر المرابطين)، موسوعة معين للمعرفة، 2021/06/19.

21. محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية، القاهرة، العدد، 237.

22. محمد سرير،(تمثلات الخطاب الاجتماعي في رحلة نور الأندلس الأمين الريحاني انموذجا)، مدونة A.S.J.P المجلد 7 / عدد 2، كلية الآداب واللغات جامعة، المدية، ديسمبر، 2020.

23. محمد سرير،« الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر في عيون الرحالة رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني نموذجا»، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 5، العدد 1، بتاريخ صفر 1439 هـ الموافق ل أكتوبر 2017.

24. محمد سهيل فطوش: "تاريخ المسلمين في الأندلس (91 – 891 هـ / 710 – 1492 م)، ط 3، دار النفاش بيروت، لبنان، سنة 1431 هـ – 2010م.

25.المعرفة ،عبد المؤمن علي الكومي أبو أحمد مؤسس دولة الموحدين ، تم الإطلاع عليه بتاريخ:(2022/5/25) موقع:**httpos://marefa.org**

26.معلومات عن الأدب الإسباني في عصر النهضة،(2020/10/31).تم الاطلاع عليه بتاريخ (24.05.2022) موقع:**http://idoLoo.gov**

27.الموسوعة العربية الشاملة، ، (2009/13.04) ،الادب الاسباني ،تم الاطلاع عليه بتاريخ (2022/24.05) موقع:**ucdz.com.0 mousou3a.ed**

28. الموسوعة العربية العالمية مجلد.11ط2.عام1999.

29. نانسي العتوم، (جانفي 2022) مراحل فتح الأندلس، ثم الإطلاع عليه بتاريخ(19 – 05–2022) مقال من موقع عربي:**https:ps://erabi.com**

ملاحق:

- **خريطة الأندلس و خريطة اسبانيا اليوم:**





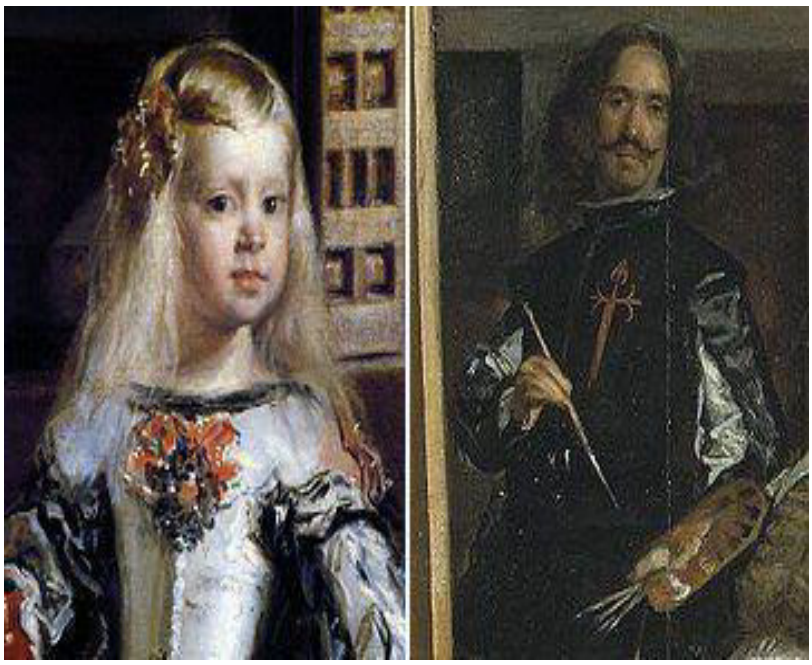
- **صورة لجامع قرطبة و كاتدرائية إشبيلية**





- **صورة لزخرفة الاسلامية الأندلسية و لوحة للفنان "فلاسكيز".**





فهرسة المحتويات

اهداء وشكر:

مقدمة:

مفهوم أدب الرحلة:..... 3

عناصر ومكونات وخصائص الخطاب الرحلي:..... 6

دواعي الرحلة وأنواعها وأهميتها:..... 10

أدب الرحلة عند العرب:..... 14

أدب الرحلة عند أمين الريحاني:..... 15

ترجمة للمؤلف "أمين الريحاني":..... 17

المبحث الأول: مكوّنات المجتمع الأندلسي..... 22

المطلب الأول : الفاتحون (العرب،البربر،الموالي)..... 22

المطلب الثاني: أهل البلاد (النصارى الغوط و المعاهدون)..... 26

المطلب الثالث: أجناس أخرى..... 27

المبحث الثاني: العناصر الحضارية في رحلة نور الأندلس..... 29

المطلب الأول: الزراعة..... 29

المطلب الثاني: الصناعة..... 31

المطلب الثالث: العمارة والمدن..... 33

المبحث الثالث: مراحل الحكم السياسية في الاندلس..... 39

المطلب الأول: عصر القوة..... 39

المطلب الثاني: مرحلة الضعف..... 44

المبحث الرابع : المرأة والحكم وأسباب سقوط العرب..... 49

المطلب الأول : أسباب سقوط العرب..... 49

المطلب الثاني: الحضور السياسي للمرأة:..... 52

المبحث الأول : الفنون والآداب..... 60

المطلب الأول: الرسم والنحت..... 60

***2*-المطلب الثاني :الزخرفة والنقوش الإسلامية :..... 62**

المطلب الثالث: الأدب الإسباني في عصر النهضة والعصور الوسطى..... 64

المبحث الثاني: فنون العمران والرحلات والاحتفالات..... 67

المطلب الأول: فن العمارة و العمران..... 70

المطلب الثاني: الرحلات الاستكشافية 73
المطلب الثالث : الاحتفالات والأعياد..... 75
المبحث الثالث: صورة الفاتحون والقادة المسلمين..... 76
المطلب الأول : موسى بن نصير 76
المطلب الثاني: أمراء المرابطين و الموحدين 79
المبحث الرابع: المعاملات الدينية 80
المطلب الأول: معاملة المسلمين للنصارى 82
المطلب الثاني: معاملة النصارى لليهود 83
المطلب الثالث: معاملة المسلمين لليهود و موقف اليهود منهم 85
المبحث الخامس : التنظيمات الدينية 85
المطلب الأول: المشاهد الدينية 87
المطلب الثاني: رجال الدين..... 87
خاتمة:..... 90
قائمةالمصادروالمراجع..... 92
.الملاحق..... 100
.الفهرسة..... 103

ملخص:

الرحلة فن وجد مع وجود الانسان ،وهي جنس أدبي جاء مصاحبا للادب العربي، عبر مراحله المختلفة ليجمع بين الافادة والامتاع، كما عد من أهم المصادر التي تقف على مظاهر الحضارة الإنسانية، وقد انطلقت عبر التاريخ الكثير من الرحلات التي جابت الآفاق، وكانت الأندلس إحدى تلك الآفاق التي توجه إليها الرحالة العرب والأجانب وتعد رحلة نور الأندلس "لأمين الريحاني" من أهم الرحلات في الأدب العربي الحديث، حيث جمعت بين تاريخ الأندلس وإسبانيا الحديثة، وقد تناولت في الدراسة التعريف بأدب الرحلة وأهم ما احتواه الخطاب الرحلي من أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية وكذلك الكشف عن اهم المرتكزات التي قامت عليها نظرة الرحالة "الريحاني" (العربي) في تصويره للآخر (الإسباني) ومدى تفاعله معه في بعض مشاهد حياته وانتقاله الدائم بين الماضي والحاضر تخييلا وواقعا، وتعد رحلة "نور الأندلس" مصدرا تاريخيا وأدبيا وفنيا وثقافيا شاملا لتعدد الرؤى في خطاب الرحلة.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة – نور الأندلس – أمين الريحاني – إسبانيا – بعد اجتماعي – ديني – ثقافي – سياسي – فنون العمارة والعمران – المسلمون – العرب – البربر – النصارى الغوط.